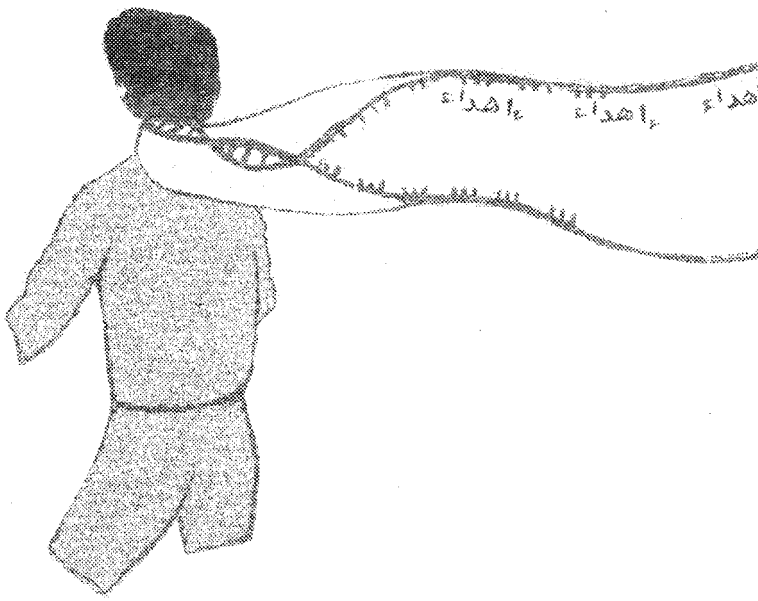
إهداء
إهداء
إهداء

مكتبة بحصيرة الهول
شارع ثبت ١٩٨٢
رقم:

سلسلة كتب قيمة

حقيقة الاستنساخ ومعجزة القرآن

إهداء

إلى كل رجل حر شريف

الأستاذ محمد غرة

حقيقة الاستنساخ ومعجزة القرآن / محمد غرة / دمشق : [د . ن ، ١٩٩٩] . ـ ٩٦ ص ؛ ٢٤ سم (سلسلة كتب قيمة) .

١ ـ ٩٤٥٧٣٢١٠٧ / ٢١١ غ ر هـ ح ٢ ـ العنوان
٣ ـ غرة
مكتبة الأسد

ع ـ ١٠٧٨ / ٦ / ١٩٩٩

حقوق الطبع والنشر
محفوظة كاملاً
للمؤلف

الأستاذ محمد غرّه
عنوان : سوريا ـ دمشق ـ مهاجرين
شمسية ـ جادة ابن عياد ـ بناء النحاس
هاتف : ٣٧١١٧٦٣

طبعة أولى

مقدمة مهمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد:

هذا الكتاب يظهر فيه إعجاز قرآني عظيم لم يعرف من قبل ، والذي يبرهن على هذا ما وصل إليه العلماء اليوم من أبحاث ونتائج سمع بها الناس جميعا على اختلاف لغاتهم وثقافاتهم واهتماماتهم فيما يتعلق بتكاثر الإنسان ووراثة الأجيال ، وأخص بالذكر مايسمى نظرية الاستنساخ ، ولو كان هذا الكتاب ظهر من قبل هذه الكشوفات والبيانات لكذبه الكثيرون وحاربه الناس ، بسبب ماينبدس في الطباع من حب للتمرد وردود الفعل تجاه مالم يعتادوا عليه ، فأذن الله بظهور هذا الكتاب في هذا الوقت وسط تضارب الآراء وتشتت الأذهان فيما يدور حول تلك النتائج ، ليضع النقاط على الحروف ، فيثبت الحقائق وينفي الأباطيل ، فتظهر بذلك آية ساطعة تدل على عظيم قدرة الله الخالق سبحانه وتعالى وأن كتابه هو الحق المبين ، وهذا من رحمته تعالى وشأنه عند كل احتدام للمواقف وكثرة للغلط

وبدء للحق في المغيب ، فيرسل من يبين للناس أمرهم ويضع الحجة عليهم ، ثم لابد للحق من أن ينتصر.

وهذا الكتاب هو من فضل الله تبارك وتعالى ، من به علي وعلى الناس ، فيه بيان حقيقة الأمر في تلك الأبحاث الآنفة الذكر من أولها لآخرها ، وبيان ما أمامها فيما لم يصلوا إليه بعد ، بعد ما مسخ مفهوم الإنسان والروح في أذهان الناس ، وما نسب للطبيعة ظلما وجهلا بأنها المتصرف في العالم من خلال مايسيرها من قوانين ، فأظهرنا في الكتاب مافيه عين الصواب ، وأشرنا إلى ما كان فيه الخطأ والضلال فيما يهم جميع الناس من ذلك ، ويحل اختلافاتهم فيه ويدخل السرور والطمأنينة في قلوبهم بفضل كتاب الله القرآن العظيم ، يقول تعالى: «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين»[1]. للأقوم في كل شيء في الحياة والكون ، فقط عليك دائما أن تعتقد بأن الله خالق لكل شيء ، ولن يترك الإنسان للضلال ، ولن يترك الباطل طويلا ، وأن تدعوه وحده ، إن الله بكل شيء محيط.

والقرآن هو كتاب كريم دائما على مدى الحياة ، وكل من حظي بفضل وكرم منه كان ذا حظ وافر ، ولايشرف به إلا من كان فيه شرف وكرم فهو تنزيل العزيز الحكيم ، ولا نقصد بالتكريم حفظ السطور وماله من جمال وفائدة ،وإنما القصد هو الفهم وكيفية التطبيق ، يقول تعالى: «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر»[2].

والله تبارك وتعالى عندما أمر النبي الأمي عليه الصلاة والسلام في كيفية

---

١ سورة الإسراء ١٧ ــ آية ٩.

٢ سورة القمر ٥٤ ــ آية: ١٧ ــ ٢٢ ــ ٣٢.

تعامله مع كتابه العزيز في قوله: «لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إنا علينا بيانه»[1]. فإننا نجد في هذا عدة أمور بينة وهي:

١ ــ إن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لم يجر على لسانه بيان كل ما جاء في القرآن الكريم ، والأدلة كثيرة وخير دليل وجود التفاسير بين أيدينا وبعض أقوال الصحابة ، وإنما كان يسأل عليه الصلاة والسلام عن أمور ، ويبين أمورا فيها كان فيها إنهاض عصره وأساس لما بعده. فهناك ترتيل للقرآن الكريم وأيضا هناك ترتيل للمعنى القرآني أو البيان ، فترتيل القرآن قد نزل كله مع الحفظ والرعاية ، والدليل وجوده بين أيدينا محفوظ وميسر ولله الحمد ، أما ترتيل المعاني أو البيان ولا يقصد بهذا أن في القرآن طلاسم تحتاج لإضافات كي تفهم ،وإنما يقصد بأنه ينطوي على معان وأمثلة كثيرة عظيمة لايناقض بعضها بعضا ، فلا يتعارض بعضها مع بعض ، وتتسع كي تشمل نواحي الحياة كلها ، نفي كل شيء ، قال تعالى: «قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا»[2].

وهذا الترتيل للمعاني أو البيان الإلهي كما هو شأن ترتيل القرآن الكريم له أوقاته ، ولا يجعله الله إلا لمن يختاره من الناس ومن يريده.

وليس شرطا عند الله أن يكون هذا الإنسان الذي اختاره للبيان الذي يريده أن يكون قد أخذ الدكتوراة في عرف الناس أو أعلى الشهادات ، أو

---

١ سورة القيامة ٧٥ ــ آية: ١٦ - ١٧ - ١٨ .

٢ سورة الكهف ١٨ ــ آية: ١٨.

قرأ العشرات من الكتب وهي امور تطلب ، لكن المهم لهذا الأمر أن تكون عنده الأهلية لتلقي أو فهم تلك المعاني والبحث ، فهذا سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مثال ، كان لا يقرأ ولا يكتب ، أليس كان من السهل أن يجعله الله عبقريا أو فيلسوف زمانه باللغة والشعر والأدب والعلوم الأخرى ثم يتلقى القرآن العظيم ، ولن يستطيع الناس أن يقولوا هذا من عنده ، لكنه مع أميته عليه الصلاة والسلام جاء بأمر قد غير به وجه التاريخ كله ، ذلك لأن الله تبارك وتعالى قد اختاره من بين النلس ، لأنه كان أتقاهم وأحسنهم خلقاً ، فكان جديراً بالرسالة التي أرادها الله ، فمعروف كيف كان عليه الصلاة والسلام في حياته قبل الرسالة ومتى جاءته الرسالة ، فذاك إذاً هو مقياس التقوى التي تتطلب الإيمان الجاد بالله واليوم الآخر ، قال تعالى: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»[1]. ولهذا قال تعالى: «إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً»[2]. والفرقان هو التفريق بين الحق والباطل ، وبين الضلال والصواب ، وقال سبحانه: «إن تتقوا الله يجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم»[3]. ولهذا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء فيما قال بياناً للفضل والتكريم من الله سبحانه: (لقد أوتيت مجامع الكلم)[4] ، وماقاله تعالى فيه إثبات على أنه ليس الهدف من كون النبي الكريم أمياً من أجل فقط أن يتأكد الناس بداهة انه ليس هذا من عنده ، فهذا دلالته واضحة ومنتهية بتحدي الله للبشر جميعا ، بأن يأتوا بمثله ، فقال تعالى: «قل لئن اجتمعت

---

١ سورة الحجرات ٤٩ ــ آية: ١٣.

٢ سورة الأنفال ٨ ــ آية ٢٩.

٣ سورة الحديد ٥٧ ــ آية ٢٨.

٤ الحديث.

الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا»[1]. وقال: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا»[2]، وأيضا في جواب الله لمن افترى على محمد عليه الصلاة والسلام وقال إنما يعلمه بشر فقال سبحانه: «لسان الذين يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين»[3]. ولم يكن الجواب هنا أنه أمي، فكيف له أن يتعلم شيئا بمثل ماجاء به من قبل القراءة والكتابة، ولو قال هذا لكان مقنعا، فذلك ليبعد أكثر مايكون عن الأذهان مسألة هل هو تعلم أم لا، وأن هذا ليس سببا أساسيا في أهلية حمل الرسالة، وإنما كونه أميا ليدل أكثر على قدرة الله وكرمه، فهي حكمة وليست شرطا لدلالة نبوته، لذلك امتن الله على المؤمنين بقوله: «هو الذي بعث في الأمين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب و الحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم»[4]. وأيضا كما قلنا تأكيدا على توجه الرسالة من السماء ليقطع الشك حتى عن المبطلين أنفسهم فلا يبقى إلا المعاندة والكفر. قال تعالى: «وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون»[5].

إذا السبب الأساسي هو من يعمل أكثر لله سبحانه وتعالى أي التقوى، وإلى جانب ماكان يعرف به صلى الله عليه وسلم من الصدق والأمانة

---

١ سورة الإسراء ١٧ ــ آية ٨٨.

٢ سورة النساء ٤ ــ آية ٨٢.

٣ سورة النحل ١٦ ــ آية ١٠٣.

٤ سورة الجمعة ٦٢ ــ آية ٢ ــ ٣.

٥ العنكبوت ــ ٤٨.

والتوجه إلى الله تعالى قبل الرسالة ، كان يعرف بالحكمة وحسن التدبير وكثرة التأمل والصبر ، فهذان العنصران شكلا الأهلية لحمل الرسالة والمهمة ، الأساس ، وهو التقوى ، والثاني ، ما فيه من استعداد للفهم والتأمل والصبر ، ثم الله زاده وزانه وأعطاه ، قال تعالى: «ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى»[1] ، ولنعرف أكثر سر التقوى وأهميتها ، لننظر معا أيها السادة كم وكم من الناس خرج بعد شهاداته بذخيرة كبيرة من الحفظ ويتباهى بها ، لكنه لايفقه الكثير مما تعلم ، ولايستطيع تطبيق أو فهم تطبيقه في حياته ، سواء منهم من رغب في دراسته هذه أو أقحم فيها إقحاما ، وقد ضرب الله لنا مثلا ببني إسرائيل عندما تركوا تطبيق كتابهم وتفهمه فقال: «مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا»[2] ، ونضرب مثلا من الناس من يأخذ أعلى الشهادات في اللغة ، كالذي يقال عنه بروفسور ، إن كان بعيد الصلة عن الله هل يستطيع استخراج أو استنباط المعاني الكثيرة وماجعله الله من هداية وفتوح من كتابه الكريم ، فإنك ستجد أنه سيعجز عن ذلك وسينفر منه أيضا ، وكذلك حتى من درس الشريعة الإسلامية كلها وحفظ الكثير منها لغرض في نفسه. ذلك بأن الله سبحانه وتعالى لن يختار ماجنا أو فاسقا ويكرمه بالهداية والمعاني من كتابه الكريم ، لذلك وصف الله وقع كتابه الكريم على الكافرين بقوله: «...وهو عليهم عما»[3]. وعندما يختار الله تعالى الرجل الذي هو أهل لحمل المعاني التي ينطوي عليها كتابه العزيز

---

١ سورة الضحى – آية ٦ – ٨ .

٢ سورة الجمعة – آية ٥ .

٣ سورة فصلت ٤١ ــ آية ٤٤.

يهديه لها ويكرمه بها ، فسيكون الواقع والعلم والبحث وسعة اللغة العربية ودقة معانيها هي الأمور التي تشهد وتدل على صدقه وحجة مايقوله.

أما من كان يريد الافتراء والتكذيب فلقد كذب أمام المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام ، لكن الحجة بقيت معه ولم يضره ذلك شيئا. لذلك علينا أن نتعلم بجد مخلصين لله وحده وجوهنا ، ونطلب منه دائما وأبدا الهداية والتوفيق ، فلربما نسبق وبجهد قليل بفضل الله وكرمه من سوانا ، ولرب حامل فقه لمن هو أفقه منه ، وعلينا أن نتطلع بكل إخلاص إلى مثل هذا الذي يخصه الله بالمعاني الجليلة الصادقة من كتابه الكريم ، ونبحث أيضا بأنفسنا عما انطوت عليه آيات الله تبارك وتعالى من هذه المعاني ، علنا نوفق وننتفع بها وينصر الله هذه البلاد ويعز العباد ، ولنتذكر دائما أن الطريق لهذا أولا وأخيرا هو التقوى ، ورب العالمين يقول: «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه»[1].

كذلك نجد من تلك الآية الكريمة أمرا مهما جدا وهو أن لانعجل بالقرآن هذا الكتاب الجليل الكريم فنحرك ألسنتنا بمعان أو أمور نقول إنها من القرآن ، أو هكذا يريدها الله ورسوله دون أن نقف على حقيقتها بشكل واضح وجلي تطمئن له قلوبنا ، ولماذا نفعل ذلك؟. هل نريد الحياة الدنيا؟. هل نريد أن يقول الناس عنا إننا علماء أو غزيرو العلم ويخروا أعناقهم لنا لنمسح بأيدينا على رؤوسهم ، فإن كان هذا فهو شيء لايرضى الله عنه ، وهو يجلب سخط الله علينا والعقاب والهوان ، وإنّ هذا لأكبر

---

١ سورة الطلاق ٦٥ ــ آية ٣.

مصيبة ابتليت بها الأمة ، يقول تعالى: «فما اختلفوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيًا بينهم»[1] ، فكيف بنا إذا قلنا بالقرآن ماليس فيه. إن الأمر جد خطير ، ولا يقبل الله عذر من قال: هكذا تعلمت أو هكذا سمعت أو قرأت ، لذلك قال تعالى: «أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها»[2] ، والحال نفسه عندما نتعجل بالحكم على أمر ما مهما كان شأنه دون أن نعرف بوضوح وثبات هويته ، ونقف باطمئنان على علاقاته ، فلقد حذر الله سبحانه وتعالى الناس من أن يسألوا عن حكم أشياء ومالذي يفعلونه تجاه ما يتصورونه عنه دون أو قبل أن يتبينوها أو تصلهم بينتها وحقيقتها ، فإن فعلوا فسيبدو لهم الحكم الذي جاؤوا به أو أخذوه جواباً عن تصورهم الخاطئ هذا ، خطأً أو مخالفاً للحقيقة والواقع ، وهذا أمر طبيعي ، لأن السؤال نفسه ناقص أو خاطئ ، وربما يصل بهم الحال هذا إلى النكران أو الكفر. يقول الله تعالى: «ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم ، قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين»[3].

وربما كانت أكثر أخطائنا من هذا القبيل ، إذ يأتينا أمر ما جديد مطروح ، أو مشكلة جديدة أو حتى قديمة ، فنتسرع إلى إطلاق الحكم مما حفظته ذاكرتنا من غير كثير من التأمل أو التثبت المطلوب ، وفوق هذا تمتلئ نفوسنا بالكبرياء ونخطئ ويخطئ بخطئنا الناس ، مع أننا لو رجعنا إلى

---

١ سورة الجاثية ٤٥ ــ آية ١٧.

٢ سورة محمد ٤٧ ــ آية ٢٤.

٣ سورة المائدة ٥ ــ آية ١٠١ ــ ١٠٢.

أنفسنا لوجدنا أننا ارتكبنا الكثير من المعاصي، ولو قال الواحد إنه لا يعلم خير له من أن يخطئ ويكون مسؤولا أمام الله جل وعلا عن مغبته، وإن عدم أخذ الرجل بما لا يعلم، وقوله لا أعلم لهو علم في حد ذاته وفضيلة. ثم كيف يكون لمن لم يعرف فقط إلا ماسمع أو قرأ أن يتصدى لما هو جديد ويقول إنه يعلم، وكأن العلم أو القرآن الكريم الذي جعله الله خالدا كريما إلى يوم الدين قد توقف عند حد ما تناوله أو عند أحد ما من الناس.

وهذه المشكلة بالذات تخلق المشكلة المقابلة لها التي هي رد فعل عنها، وهي الطعن في القرآن الكريم والدين، أو أن يقول بعض المخدوعين بالمظاهر في القرآن ما ليس فيه، منجرفا وراء ظاهر من القول متبعا هواه.

ونرجع في الأصل إلى هذا السؤال: هل نحن حقا نؤمن بالقرآن؟ وهل نحن حقا نؤمن باليوم الآخر؟.

وعندما نتسأل: لماذا تصيبنا المصائب وتدور علينا الدوائر وتزداد الأزمات وتحل اللعنات مع أن القرآن يتردد فيما بيننا!؟ يأتينا الجواب عندما نقرأ قول الله تعالى: «ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم»[1]، نعم لأننا أسأنا إلى أنفسنا كثيرا، وأعظم من ذلك هو الإساءة لكتاب الله. إما بهجرانه قراءة أو عملا. أو بتعمد الخطأ فيه، أو بلفت الناس عن أن يتفكروا فيه أو بتحجيمه وتجميده بالذي وصل إلى شخص ما فقط. وكأن رحمة الله قد توقفت عنده والأمر منته ولا مجال للمزيد، أولم يأمر الله تعالى نبيه الكريم

---

١ سورة الأنفال ٨ ــ آية ٥٣.

عليه الصلاة والسلام في قوله: «قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم، قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين»[1]، لذلك علينا أن نتوجه جميعاً إلى الله وحده غير ماسواه من الخلق مهما كان شأنه، ونطلب منه أن يرحمنا ويهدينا وينير عقولنا، وفي هذا كل الخير، فإنه خير مسؤول وهو السميع العليم.

وفي هذا الكتاب شيء من رحمة الله الواسعة وفضله، وقفنا فيه على حقيقة ما ذكر كما قلنا عن تكاثر الإنسان وصلة هذا بما يمكن أن يفعله الإنسان، وبالأخص ما سمي نظرية الاستنساخ في وقفة ثابتة ورؤية واضحة دقيقة، وبفضل ما هدانا الله له تبينت الصلة بين هذه المواضيع، وبما أنزله سبحانه وتعالى، وبكل روية ودقة ظهر كيف وضح القرآن الكريم هذه المواضيع في تفصيل دقيق معجز ومثّل لها، وأتى أيضاً على ما بعدها فكان له السبق ولله الخيرية وفصل الأمر، إنه تنزيل من حكيم حميد، لذلك جاء هذا الكتاب بأسلوب وتسلسل مميز، فسلم من الخطأ والتناقض بوثاق علمي وعقلي واضح، وكان فيه جذب واضح للقارئ وعذوبة بحيث يشعر من يقرؤه بأنه لا يحب فراقه حتى يغترف منه المزيد، وأفكاره متصلة بعضها ببعض، وتحمل القارئ بسلامة ولطف حتى النهاية، ولا انقطاع فيها ولا غموض ولا تشتت للأذهان. وابتعدنا بالكتاب عن كل ما فيه شطط كلام وما لا فائدة منه، فبجهد يسير تصل به إلى خير كثير. ولذلك كل كلمة فيه لها وقعها وأهميتها، فلا مرور منه كمن يقرأ جريدة أو قصة، ومع هذا ليس فيه صعوبة، وهو ليس موجهاً للمختصين فقط بل يستطيع قراءته وفهمه

---

١ سورة الملك ٦٧ ــ آية ٢٨ ــ ٢٩.

كل من يقر بدرجة متوسطة من الثقافة ، حتى النقاش العلمي فيه ليس صعبا ، تعمدنا فيه البساطة وما درج على الأسماع ، ويستطيع فهمه كل من يريد ، وإن صعب فالبيان القرآني فيه واضح ساطع قوي لن يصعب على أحد ، وما الموضوع العلمي إلا لإثبات هذا البيان والتوكيد. ولقد اشتملت مواضيع الكتاب وتسلسلت على النحو التالي:

فبدأت بنظرة الإنسان للطبيعة ولمن حوله وكيف ينشأ الخطأ ، وضربت المثال فوراً بنظرية الاستنساخ ، وتوضيح بسيط عن الطريق الذي خرجت منه هذه النظرية ، مع توضيح كيف تكون النظرية سليمة وسابقة ، ثم دخولٍ جميل للقرآن الكريم على محور هذه النظرية وفي خطها العريض ، وذكرٍ لبيان قرآني ، ثم ذكرِ بعضِ التفصيل لما هو مهم في الاستنساخ مع التبسيط لمناقشة الموضوع علمياً ومنطقياً للوصول إلى النتيجة التي تهم جميع الناس وهي هل يمكن تطبيق الاستنساخ ؟ وما طبق على الحيوان يطبق على الإنسان ؟ وماهي التأثيرات وماهي العوائق؟. وكيف يكون الطريق سليماً للوصول إلى نتيجة صحيحة؟. فوصلنا إلى كل هذا وأثبتناه بفضل الله تعالى بشكل علمي منطقي واضح للجميع ، وليس هذا فقط وإنما مع ذكر بعض الأمور المهمة التي لها صلة والتي لم يصل العلم إلى حلها وفصل أمرها مثل قضايا الوحام والتحسس ومرض الإيدز ، وفي آخرها مرض جنون البقر. فكان بفضل الله سبحانه لنا الجواب الحاسم في كل هذه الأمثلة وأسرارها بوضوح تام ، من غير تفصيلات تخرجنا عن الوضوح إلى ضرورة الاختصاص ، ومن غير إسهاب في الكلام.

لكن هناك من سيدعيّ أن هذه أمور علمية تحتاج لمختصين لانستطيع

فهمها ، نقول له: إنها عناوين قد سمع بها العالم كله ، وقد مثلنا لها بأبسط الأمور عند الناس حتى تصبح مفهومة بسيطة وسائغة ، فمن منا لايعرف مثلاً البطاطا أو الخس أو كلمة شريط أو ماء.

وقد ذكرنا بيانات قرآنية مهمة في هذا وجديده ، وكذلك توضيح لبعض الأمثلة القرآنية وما لهذا من أثره العظيم ، ذلك فيما له صلة بالموضوع ، توضيحاً من ثم كان التفصيل الدقيق القرآني حول ماتعالجه أو تتناوله قضية الاستنساخ ، والذي كان هذا العلم ليصدقه ، وانتقال هذا البيان القرآني بنا إلى آخر مايمكن أن يصله هذا العلم وإلى مابعده أيضاً ليتم بذلك الإعجاز القرآني الكبير.

وظهر لهذا أيضاً صلة بالمسيح عليه السلام وهو إكبار وإعجاز أكثر ، ثم في النهاية كيف يعيش العالم بسلام وأمان. ثم ألحقنا بذلك شيئاً للذكرى جديداً كفكرة انطلاق وأساس يبحث عنه العلم اليوم بشكل حثيث والناس بحاجة ضرورية له ولم يصلوه بعد ، وهو كيف نصل إلى زرع للأعضاء موجه من دون ضرر يذكر ، عله يكون السبب للوصول لهذه الغاية المنشودة الكريمة ، ولي الشرف في أن أكون الأول فيمن وضع أساسها ووضح طريقها ، ثم ليكمل المختصون الطريق ، وعلى الله فليتوكل المتوكلون.

وأخيراً نذكّر القارئ الكريم عندما ينظر لهذا الكتاب ، فهو مع مايحتويه من معلومات مهمة وغنية ووافرة إلى جانب ذلك هو بحجم بسيط ، وأسلوب سهل جميل ، فلاينبغي له أن يتوهم صعوبة الفهم بعد أن وجد التيسير في ثمنه واقتنائه ، فما كان ثمنه إلا مقابل الجهد في كتابته وطباعته ،

فقيمته العلمية كبيرة لانقدرها بثمن ، وقد تعمدنا أن يغدو خفيفا دون حجم غليظ ، لنبعد أي وهم يمكن أن يدخل على كل من يريد التعرف عليه ، إن هذا لهو فضل من الله والحمد لله رب العالمين.

نرجو لنا ولكم كل التوفيق والسداد ، ونتوجه إلى الله جميعا أن يهدينا سواء السبيل ويشرح صدورنا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

❁❁❁

ـ مدخل :

في سباق العلم والصراعات الفكرية والحضارية نسي الإنسان غاية وجوده ، وظن أن الطبيعة من حوله هي التي تحدد مصيره وهي التي تمن عليه بالخيرات مع أنها مخلوقة مثله ، وإذا به ينتظر منها ماهو جديد فتراه يتقلب فيها ويقلب يديه فيها عله يحصل منها على كشف جديد يحسن به طريقة عيشه مع أن كل مايظهر في هذه الطبيعة يهيب بنا أن نرجع إلى الخالق الموجد الحقيقي الذي هو وراء مثل هذا الظهور. ثم ترى هذا الإنسان بعد أن حظي بظهور جديد غير سعيد ، وكأنه لم يحقق من السعادة شيئاً سوى الزيف والسراب ، وكثيراً ماتراه يزداد خوفاً وقلقاً ثم تراجعاً عن إنسانيته ، فيكثر الظلم ويزداد في الإيذاء والعدوان ، وليته كما يظن نفسه أنه سبق ، بل ليس له من الكشوفات والتقدم العلمي إلا ما أذن الخالق بظهوره ، ولعله لو رجع إلى هذا الخالق السميع البصير وإلى ماأنزل من كتاب كريم وسأله أن يهديه ويعينه لحقق فعلاً السبق ، ولتجاوز الزمان وحقق مايصبو إليه من خير ، أوَما وجد سؤالاً مهماً وملحاً يدفعه ليهتم : من أودع القوانين التي نراها كلها والمتصل بعضها ببعض ، ومن أذن بأن تظهر هذه الكشوفات وجعل ماجعله من أسرار! ؟ إذاً لكان خيراً له ، ولعرف الجواب وعرف الله حقاً. ولنضرب للناس بعض الأمثلة ولنبدأ بهذا المثال الذي ضج له العالم ، ثم لنعرف أخيراً من له السبق والغلبة.

ـ لمحة عامة :

لقد رأى بعض الباحثين الذين يقلبون في التجارب في مجال الأجنة أنه ليس شرطاً حتى يتم تكوين الخلية الأولى التي تبدأ بالتكاثر لتعطي المولود والكائن الحي الجديد أن تتكون من اندماج خلية من حيوان الذكر مع خلية من الأنثى من الخلايا الجنسية بطريق الإلقاح الطبيعي ، فقد ظهر له بعد تقدم العلم الكبير اليوم ، وبعد الكثير من التجارب التي يبحث بها عن الجديد أنه يمكن تجاوز هذه العملية ، وهذا الشرط ، بأن تؤخذ النواة من خلية حيوانية جسمية وتُزرع في خلية حيوان آخر عوضاً عن النواة المنزوعة منها ، ثم أخذُ هذه الخلية الجديدة المركبة من الاثنين وزرعها في الرحم المكان الطبيعي للولادة ، لتخرج بعد ذلك بعد نسبة كبيرة من الإخفاق مخلوقاً جديداً. وماكان لهذا الذي قام بالتجربة أن يتجرأ على ذلك وينشر تعميماً فيه ، إلا بعد أن أظهر العلم أنه حتى يتكون الجنين لابد من طاقة تبدأ عندها الخلية بالانقسامات ، والتي تأتي من عملية الاندماج ، وقد توافرت مثل هذه الطاقة عن طريق هذا الزرع ، ومثال هذا أيضاً ماسموه بطفل الأنبوب ، وأيضاً ما أظهره العلم من أن المسؤول عن عملية التكاثر هو جزء في الخلية يسمى الحمض الريبي المنقوص الأكسيجين ، ورمزوا له بـ DNA، وهو موجود في نواة الخلية ، وهذا مافعله هذا الباحث فزرع النواة وحرض الخلية.

صحيح أنه يمكن أن نحقق من هذا الكشف أغراضاً علمية مفيدة في مجال زرع الأعضاء بما يسمح له هذا الظهور ، كما نتمنى ، إلا أنه في مجال التكاثر لم يجن سوى بعض النعاج التي كان يمكن الحصول عليها بطريق الاصطفاء ، وهي شيء لايذكر أمام هذا الكم الهائل من التعب والإخفاق مدفوعاً بحب الظهور

ظنا منه أنه سبق، وليته وقف عند حدود التجربة، بل ادعى حين قال له العلم أن هذا الجزيء DNA هو من يحمل الصفات الوراثية التي يتشابه بها الآباء مع الأبناء، وأن المخلوق الذي يأتي من مثل هذه العملية أي زرع النواة في خلية أخرى وحضانتها هو مشابه لصفات حامل النواة الأول، وكأنه اخترع شيئا عظيما، فقال بالتشابه التام، وليس هذا فقط بل تجاوز القول بأنه يمكن تطبيق هذه العملية على الإنسان وأن التشابه سيكون كالنسخ، فطاول بهذا الأذهان، وأعطى ممرة بحثه هذا الرعب والخوف الذي زرع في نفوس الناس، وظن نفسه أنه قد تفرد بشيء عظيم، وهو حقيقة لم يأت بشيء سوى بالقدر الذي أذن للطبيعة به في وقت ظهوره في خضم هائل من التجارب، ثم ظن أنه قد نقض شيئا مما جاءت به الأديان وظن أنه سبق. لكن الخطأ الكبير الذي ارتكبه غير الغرور الذي اكتنف هذه العملية هو أنه عمم الأمر الذي وصل إليه على شيء لم يصل إليه وقد عجز عن تفسير أسراره.

- كيف ولماذا التعميم وما الهدف ؟!..

وهذا في أمرين: الأول أنه جعل الإنسان والحيوان في مرتبة واحدة وعمم عليهما موضوعه رغم عجزه عن معرفة سر الفرق المميز للإنسان عن الحيوان، ثم هل نجح أولا في نعاجه وبقره وخنازيره دون فشل مخز والثاني: أنه رأى في المجتمع في بعض التوائم تولدا وتشابها شبه تام بينها، بحيث يصعب التمييز مباشرة بين المولودين وهو ما يسمى بالتوائم الحقيقية، والتي عرفت بأن تضاعف جزيء الـ DNA فيها يحصل دون تبادل بين أعراس الأب والأم مع بعضهما البعض، فعمم هذا الأمر وقال: إن كل توأم حقيقي لابد أن يأتي فيه الطفلان متشابهين تماما وفي كل شيء، فقد قالت له التجارب: إن هذا الجزيء

الـ DNA، هو وحده المسؤول عن نقل الصفات الوراثيـــة ، وأن شـــريطيه المكونين له متماثلان تماما في كل نقطة منهما في تقابل مستمر ، ولايمكـــن أن يختلفا عن بعضهما البعض إلا في ظروف سماها مرضية ، وأن المخزون الوراثـــي الذي يتكون منه أو يحمله شريطه الثنائي الـ DNA يبقى ثابتا منذ تواجـــده في الفرد الواحد من قبل مرحلة الجنين إلى ما بعده ، لكن أولا هل اطلع على كـــل توأم مولود؟. صحيح أن التشابه الكبير هذا أو ماسمي بالتوأم الحقيقي هو نـــاتج عن مثل ذلك التضاعف للـ DNA بعد الانقسام الطارئ مـــن دون اختـــلاط للأعراس ولكن هل العكس صحيح ، أي كل توأم غير متماثل في الشكل هـــو ناتج عن غير مثل هذا التضاعف أي غير توأم حقيقي؟؟ من الذي يستطيع أن يجزم بهذا؟ أم أن نظريتهم أو النتيجة التي وصلوا لها وهي أنه لايمكن لأي تغـــير أن يقبل في محتوى الـ DNA، تكفي وهل أيضا كل توأم مولود كان بينـــهما تشابه هل هذا التشابه في كل شيء؟..

إذا ، هل سأل نفسه الذي يقول هذا ألايمكن أن يكون الأمر أدق من هـــذا دقة متناهية وفي ترابط عجيب وسر عظيم على رغم مايكتنف نظراتـــه مـــن تناقضات وماوقع عليه من تساؤلات؟. أما لو أنه عرف جقيقة وجوده ورجـــع إلى خالقه وبارئه ومصورة وماجعل له من رسالة وكتاب لعرف مـــن الـــذي يستطيع أن يجزم في ذلك ويقدم البرهان مما سنراه في هذا الكتاب ، ولكان هـــو السابق والسعيد حقا ، ولوصل ليس فقط إلى ماأتوا عليه من بحث ، وإنمـــا إلى أبعد من ذلك ومن دون تخبطات وأخطاء مخزية بأسلوب عجيب يســـبق بـــه زمانه ، ولأخذ من الطبيعة مايريد دون أن يضع نفسه موضع المحتـــاج لرحمـــة التجربة ، ولعل أكثر الأمراض استعصاء كان سبب الإخفاق في الخلاص منـــه

هو انتظار مانمن عليه التجربة والطبيعة ، وما نرى انفسنا تنتهي من مـــرض إلا ويأتي مرض أفظع منه ويختلف عنه أو يشابهه ، فهل تنتهي هذه الدوامة ؟.

ـ وضع النقاط على الحروف ..

تعالوا لننظر ماقاله الخالق العظيم في كتابه الكريم في هذا المجال العجيـــب ، لعله يكون مثالاً يحتذى ، ونتعرف إلى الله ربنا وخالقنا ونرجع إليه ، وتكـــون ذكرى ، ولنتنبه إلى كل مايقوله لنا ونأخذ به ولنكون سابقين حقاً ونـــذوق السعادة حقاً.

فمما قاله لنا ربنا تعالى في كتابه الخالد القرآن المعجز قوله سبحانه: «نحـن خلقناكم فلولا تصدقون ، أفرأيتم مانمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ، نحـن قدرنا بينكم الموت ومانحن بمسبوقين علـــى أن نبـــدل أمثـــالكم وننشـــئكم فيمالاتعلمون ، ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون»[1].

تعالوا نسلط الضوء من خلال آيات الله على الواقع لنرى ماهو الشـــيء الذي أراده الله ، وما الذي بيّنه من أمور ، لتحصل الفائدة ويحصـــل الســـبق. بدأت الآيات هنا بتذكير الناس بخالقهم فهو الله تعالى الرب المتحدث الـــذي أنـــزل هذا الكلام ، وهو أمر غني عن كثير الكلام لوضوحه وضوح الشمس: «ولأن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله»[2] ، إذ لا يمكن للطبيعة الصماء التي نعمل فيها ما نشاء أن تكون هي التي كونت من أجزائها وأبدعت هذا المخلوق المتكامل العجيب ، لذا كان الكلام إقراراً واضحاً قوله: «نحـــن خلقناكم» ، ثم إقراراً آخر بقوله: «فلولا تصدقون» فأي طريق تسلكونه فـــهو

---

١ سورة الواقعة ــ آية ٥٨ ــ ٦٢.

٢ سورة لقمان ــ آية ٢٥.

يدل عليه ، فألا ينبغي لكم التصديق لهذا الخالق الذي لابد من التسليم له بعد ذلك؟ ، وتتابع الآيات الكلام بأن لا نذهب بأذهاننا وتخدعنا المظاهر ونظن أن هناك جهات تساعد أو هي موكلة في عملية الخلق ، بل هو وحده رب العالمين الذي يرعى كل الأمور ، فذكر صورا متعددة لتنبه العقول فتزكي اليقين.

١. المني والتقدير..

ومن بين ما ذكر أمر إعجازي فيه خاصية بحثنا حيث ذكر المني الذي يغلب على الإنسان عند خروجه ويستقلل شأنه الإنسان ، ويظن نفسه أن له تأثيرا وقدرة في تكوينه ، هلا سأل نفسه حقا هل له يد في خلقه أو من الذي له يد ، أو ليس الذي كونك وخلقك أيها الإنسان من المادة الأولى وهي التراب هو الذي خلق هذا المني منك وكونه ، وهو الذي يعيد خلقه ويربيه من غذائك الذي أصله التراب إلى أن يصير طفلا مولودا حرا؟. وحتى إن أصل هذه الكلمة المني هو لأن منه يكون التقدير وبداية خلق الإنسان ، فالمني: هو تقدير شيء ونفاذ أمر به. فهذه اللغة العربية دقيقة جدا ورائعة الجمال وتوافق الطباع وتحل النزاع ، فمثلا في قوله تعالى: «وما أرسلنا قبلك من رسول ولانبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته»[1]. فتمنى هنا: ذكر الكلام الموافق والذي به أمر يراد. إذا فليس أصل كلمة المني لأنها ماء الرجل دون ماء المرأة ، وكذلك النبي الكريم عليه الصلاة والسلام لم يفرق بينهما بتسمية ، فذكر الحديث الذي قال فيه: (ماء الرجل .. ماء المرأة)[2].

فالمني يطلق على ماء الرجل وعلى ماء المرأة أيضا أما ما بينهما من

---

١ سورة الحج ــ الآية ٥٢.

٢ من صحيح مسلم.

اختلاف لا علاقة له بهذه التسمية.. ثم ذكرت الايات الموت بعد ذكر بـــدء الخلق فما سر هذا؟. إن مابين هذا التخلق والموت تكون حياة الإنسان، الـتي يؤثر فيها على نفس هذا الإنسان وتكوينه أمور كثيرة قدرها الله، من ثم يأتيـه الموت في النهاية حتما والذي هو تقدير الله أيضا وله أسبابه التي قدرهـا الله، فكما أن الموت هوحتمي على الإنسان من الله تعالى كذلك خلقـه وبدايـة تكوينه من الله تعالى، وما جعل سبحانه على هذه النطفة من تأثير وأجرى من أسباب هو من تقديره، فوضع القوانين وسن الأسـباب، ثم تتـابع الآيـات بأسلوب عجيب قائلة: «وما نحن بمسبوقين»، ماهو السبق هنا؟ ولماذا وضعت واو العطف بدايتها (وما) وما كانت (فما)، أتكون لتحديد الأمر في قضيـة الموت مثلا، بل ذلك لأن الله تعالى يريدها في كل شيء، وأنه إذا لم يرد شيئا فلا يكون ولن يكون إلا بإذن منه.

٢. طرق مختلفة..

ثم خص بعدها شيئا ليس على سبيل الحصر سنفصله بعد حـين، فقـال تعالى: «ومانحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم»، أي لايغرركم أي شـيء وصلتم إليه فالله يمكن أن يذهبكم أو يبعد هذه النعمة عنكم ويعطيها لآخرين، فكلمة « أمثال » كلمة جمع تدل على مثل الشيء أو شبيهه تصغيرا أو تكبـيرا أو مساويا بالشبه، كما قال في آية أخرى: «وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا»[1]، فكلمة « تبديلا » هنا تدل على كثرة التبديل واختلاف التبديل حيث قـال قبلها: «نحن خلقناهم وشددنا أسرهم» أي خلق الله هؤلاء الناس وحد قواهـم بهذا الخلق وهذا الجسد ولايمكن لهم أن يتجاوزوه أبدا، ولو شـاء سـبحانه

---

١ سورة الإنسان ــ آية ٢٨.

لغيرهم أو غير من قواهم وأجسادهم وأشكالهم. ونتابع الآيات ، فبعد أن ذكرت أن إرادة الله هي السابقة وكلامه ، ذكرت شيئا أكثر خصوصية من دون أن يكون تحديدا لقبله ، فهو أيضا سبق بواو العطف فقال: «وننشئكم فيما لاتعلمون» ذكر سبحانه هنا قضية النشأة وبدء التكوين ، أي يمكن للخالق الذي جعل طريقة نشأتكم هذه وولادتكم التي تعرفونها أن يغير منها وينشئكم في طريق لاتعلمونه و لم تتعرفوا عليه من قبل ، وتابع القول: «ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون» ، أي لقد علمتم وبرهن لكم العلم أن خلقكم ونشأتكم من التراب ، إذ أنكم تأكلون الأشياء من التراب فتصير جزءا حيا في الجسد ، فقضية خلقكم من بعضكم أو تبديلكم أو إعادة نشأتكم لهي أهون عند الله من هذه النشأة الأولى فهلا تذاكرتم هذا واعتبرتم.

فيمكن إذا أن يجعل الله طريقا آخر يتكون فيه الجنين أو المولود غير الذي سرت عليه البشرية فهو الخالق الواحد المتفرد الفعال لما يريد ، ولكن مثل هذا لايمكن أن يكون إلا في الوقت الذي يشاؤه الله تعالى وبعد إذن منه ، والآية «وننشئكم فيما لاتعلمون» ، أتت بعد ذكر «نبدل أمثالكم» وبهذا لتدل على أنه يمكن أن يأتي الله بأشباهكم ، فكما قلنا من معنى أمثال أشباه ، وقد أتى البحث العلمي اليوم والخاضع للتجربة التي هي أيضا من إذن الله سبحانه ليشير إلى أنه يمكن التغيير في طريق بدء تكوين الجنين أو المولود ، فظهر مادعي بطفل الأنابيب ، ثم أخيرا ماسموه بعملية الاستنساخ ، وهذا إن دل على شيء فأول مايدل عليه هو أن كلام الله هو السابق وعلمه فوق كل شيء ، وأن هذا الكتاب القرآن الكريم الذي نزل منذ حوالي ألف وأربعمائة وتسعة عشر هو كتاب من عند العليم الخبير الخالق المبدع ، هو الله العليم الحكيم رب العالمين ،

وقبل الخوض في هذا الذي وصلوا إليه أخيرا وهل يصـــح إطـــلاق تســـمية الاستنساخ على هذا الموضوع ومدى نجاحها، نحب أن نذكر لمن يمكـــن أن يداخله تساؤل:

٣. العاقر والعقيم والإرادة..

كيف يمكن لمن هو عاقر أو المرأة العاقر أو العقيم كما سموهـــا أن تـــأتي بمولود جديد؟ وأيضا قضية تحديد النسل، وهل هذا مخالف لإرادة الله وأيـــن قول الله إذا: «يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانـا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما»[1]. نقول بكل بساطة: ذكر الله تعالى هنـــا أولا الهبة فمثل الأولاد بمثل الهدية منه سبحانه فقال في موضع آخر: «المال والبنـون زينة الحياة الدنيا»[2]، و لم يقل سبحانه (يعطي لمن يشاء) ولو قالها لكانت قضية الولادة حتمية ولكانت أية قوة لايمكن لها أن تمنع من تكوين هذا الجنين، لـــذا قال (يهب) أي لمن أراد هذه الهدية أو العطية الموهوبة، فكما أن هدية مايمكن أن تكون بغير محل قبول فكذلك يمكن أن تكون هذه الهدية أو هذا الحمـــل، وبالتالي يمكن أن يقف الإنسان دون حصوله إن شاء وذلك بمنع أحد أســـبابه المقدرة، وقد جعل الله أمر هذه الهبة كله له، فهو وحده الذي يمكن أن يجعلـه ذكرا أو أنثى أو مايشملهما، وهذا جواب على قضية تحديد النســـل ثم قـــال تعالى: «ويجعل من يشاء عقيما»، و لم يقل «ويجعل من يشاء عـــاقرا» أي إذا شاء الله تبارك وتعالى الإنسان ذكرا كان أم أنثى أن لايكون منه ولد وهذا هو المقطوع فلايمكن أن يأتي منه الولد ولو اجتمعت قوى البشر جميعا عليه، هـــذا

---

١ سورة الشورى ــ آية ٤٩ ــ ٥٠.

٢ سورة الكهف ــ آية ٤٦.

هو معنى العقم، أما كلمة عاقر كما قال تعالى في موضع آخر عن قول لنبي كريم اسمه زكريا: «وكانت امرأتي عاقرا»[1]، فهذه الكلمة تعني أنه توقفت الأسباب المتاحة عند حد لم يأت معه بالولد، لذلك فمن الخطأ مثلا أن نقول معالجة العقم، وإنما الصحيح قولنا معالجة العقر أو العاقر، إذا ينبغي ألا يتسلل إلى أنفسنا أنه يمكن أن يكون هناك شيء خارج عن إرادة الله أو خارج عن كلامه فهو بكل شيء محيط.

وأيضا قبل المتابعة نحب أن نذكر أن هذا القرآن ليس فقط قد سبق إلى هذه الأمور التي ذكرناها، وإنما أيضا سبق إلى أمر من الأمور لم يصلوا إليه بعد، وفي هذا المجال، حيث سنأتي لاحقا على ذكر حقائقه بالشكل العلمي الصحيح الذي لايسع أحد إلا تصديقه.

ـ جلاء النظرة والنجاح:

نأتي الآن على هذا الذي وصلوا إليه كله في علم الأجنة وماسموه بالاستنساخ، وقد نوهنا عن مفرداته المعروفة والمذكورة في البداية، ولندخل فورا إلى رحاب كتاب الله الكريم، ولننظر ماذا قال الله الخالق العظيم في هذا وماحقيقته وماذا يجب تصديقه وأين هو الخطأ، ولنتلمس السبق الحقيقي ثم لتكون لنا عبرة لانرجع بعدها أبدا إلى الجهل والضلال، بعد أن وصلنا ووقعت الحجة علينا وظهر الدليل. فكما ذكرنا سابقا إن قضية وجود طرق أخرى للإلقاح الذي يكون به الجنين وقضية نسب التشابه في ذلك وذكر هذا قد تضمنته آيات من القرآن الحكيم مثل قول الله: «نبدل أمثالكم ننشئكم فيما لا تعلمون»، ولعل ما وصل إليه الزخم من التجارب في علم الوراثة وماهو

---

[1] سورة مريم ـ آية ٥.

الشيء الحامل للصفات الوراثية المتناقلة وما لبعض الكائنات الحية من قـــدرة على التكاثر إذا ما نـــزع جزء ما من جسمها نما عبر مايحيط به وصار كائنـــا كاملا مشابها للأصل، لعل كل هذا هو الذي أوحى لبعض الباحثين أن يجرب حظه في أخذ خلية فيما تحت الثدي من نعجة ونـــزع النواة، الشيء الحـــامل للمورثات وإقحامها في عمليه إلقاح مع خلية أخرى نـــزعت نواتها ثم الحضانة والرعاية، وبعد نسب مشهورة من الفشل أذن الله لهم ببعض النعاج، وربمـــا كذلك وصلوا لحيوان آخر، ولوجود النسبي التشابه المعروف في قضايا التوالـد وأشياء غيرها بين الإنسان والحيوان هو ماشجع على القول بإمكانية إجراء هذه التجربة على الإنسان.

١. ماهو بين الإنسان والحيوان

لننظر إلى السبق الإلهي في كتابه الكريم حيث يقول ربنا: «وما من دابة في الأرض ولاطائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من شيء»[١]، أليس مجرد قراءة هذا الكلام يدل على سعته وشموله وسبقه. ولنفصل شيئا منه، فهنا الله تعالى شمل كل شيء، ليس فقط مايمشي على الأرض ومافيها، وإنمـــا مايطير في السماء أيضا، حيث أكد في نهاية الآية تناول الكتاب كل الأمـــور، داعيا إيانا للتفكر والتأمل في كل مايدور حولنا، وإخضاع الأشياء لهذا الفكـــر والتجربة والمقارنة، لكن لننتبه ! هل أخضع الله كل ماحولنا للمشابهة والمقارنة مع الإنسان ؟! نجد أن الله قد خص هنا كلمة أمثال الدالة على التشابه والمقارنة بكلمة أمم التي تشير إلى معنى شمولي وليـــس خصوصيـــا، أي تـــدل علـــى العلاقـــات القائمة والأمور الرابطة بين كل مخلوق والآخر في كل جنـــس،

---

١ سورة الأنعام ٦ ــ الآية ٣٨.

وبين كل جنس وآخر، والقوانين التي تحكمهم، أي في المعاني التالية: القوة والسلطة والصراع والأعمار والصحة والمرض وإظهار النفوذ والتعايش مع الواقع. فكلمة أمة تعني كل تجمع فيه صفة مشتركة كما قال الله فيمن أرادوا السقاية من الماء، إذ هذه الصفة جمعتهم: «فلما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون»[1]، فليس أمة من كل شيء، ليبقى التفرد الوحيد للإنسان في أمور لا يشبهه معه أحد، فإذا افتقدها أصبح مثل الحيوان وربما سبقته أنواع كثيرة من الحيوان. فمثلا هل يمكن للحيوان أن يميز وينطق ويختار كهذا الإنسان، أم هل يمكن له أن يستغل القريب والبعيد ويرفع ويضع ويعقل مثل ابن آدم هذا؟ وإذا نام الإنسان ونام الحيوان هل يمكن أن يرى الحيوان في نومه أشياء واعية فيصحو منها فزعا أو سعيدا أو قلقا وربما غير سلوكه مثل مايجد الإنسان؟ هل عاقل يعتقد هذا؟! فما السر في ذلك وماهو الشيء الوحيد الذي يجعل الإنسان في هذا التفرد والعظمة وماهي الأمور التي على ابن آدم هذا أن يتمسك بها ويتنافس فيها أيضا مع غيره حتى لايكون كالحيوان، ويعلو في مجال الإنسانية ويظل ساميا عاليا حرا وليس مسخرا كهذا الحيوان؟ وبكلمة موجزة فما هي تلك السعادة الحقيقية؟ كل هذا يمكن أن نجيب عليه في حينه.

لنقول لمن وصل حظه لبعض النعاج أو غيرها هلا انتبه لبعض هذه الفروق بين الإنسان والحيوان وأن هناك أمورا فوق عملية التكاثر الحيوانية هذه تسير جنبا إلى جنب مع التكاثر في الإنسان، من قبل أن يطلق حكمه الغاشم في أنه يستطيع أن يخضع الإنسان لمثل هذه العملية والتكاثر والتشابه ضمن علمه

---

[1] سورة القصص ٢٨ ــ آية ٢٣.

المحدود البسيط هذا ؟ أم أن إمكانية التغيير ببعض الصفات الوراثية في الإنسان هي التي دفعته إلى هذه الشجاعة مزهوا بنفسه ؟. صحيح أنني قلت: إنه يمكن تحقيق تغيير في عملية التلقيح في أجنة الإنسان كما في مبدأ قضية الاستنساخ كما ذكرنا في البداية ، لكنني لم أقل بنجاح هذه العملية في أن تنبو عن مخلوق إنساني كامل ضمن معطياتها البسيطة وماتضمنت من نظرية التشابه للإنسان المخزية ، فهذا الفرق كبير.

٢. ماذا قبل التجربة..

وحتى يتم تجاوز هذا الفرق - ثم يمكن أن يكون نجاحا في رؤية طفل صحيح - لابد من معرفة أمرين هامين أو الأخذ بهما دون تفريط ما ، وهذا دل عليه أيضا نور القرآن الكريم كيف: إبق معنا.

أما الأمر الأول: فالإنسان يعيش دائرة كبيرة متصلة منذ تكوينه جنينا وحتى يصبح هرما كبيرا ثم يموت ، وأخص بالذكر فيما يحمل من صفات وراثية أو مورثات ومايحمله لغيره من مورثات ضمن مرحلة متقدمة ، وماذا يكون بين هذا وذاك ، صحيح أن الجزيء الموجود في وحدة خلية الإنسان والمسمى بالحمض النووي DNA والمعروف في علم الوراثة ـــ حبذا لو وجدت الرموز العربية ـــ هو المسؤول عن هذه الرسالة الوراثية التي من خلالها تكون بداية تكوين الإنسان إلى آخر حياته ، وأنه إذا وجد تغير ملحوظ في شيفرة هذه المورثات أو الرسالة وهو ماسموه طفرة فإنه قد يخفق الحمل ، أو ينشأ عن هذا تشوه أو مرض أو نقص وهذا مادلت عليه مشاهدات التجارب ، لذلك وصلوا إلى نظرية وراثية علمية مفادها أنه لايمكن لهذه المورثات أن يطرأ عليها أي تغيير إلا عند اختلاط الأعراس فقط ، ودليل هذا أيضا كما قالوا ، هو تلك

التوائم الحقيقية - كما سميت - الناتجة عن انشطار ذاتي للخلية ، ففيها يتضاعف الـ DNA الذي لايمكن لأحد شطريه في كل شفع أن يتغير عن الشطر الآخر ، والذي منها أيضا خرجت تسمية الاستنساخ ، وإذا لابد نتيجة لهذه النظرية أن يكون المولود يشبه في كل صفة من صفاته الأب أو الأم أو أخاه التوأم ، لكن هل هذه النظرية أصبحت قانونا تاما لا يختلف ولا يتغير ؟ أم أن هناك أمورا أخرى لم يصلوا إليها بعد وهي هامة حتى توضع الصيغة الصحيحة للقانون ؟ صحيح أن هذه النظرية تؤخذ في الاعتبار وصائبة في نسبة كبيرة منها ، ولهذا أوصى خاتم النبيين الناس في أحاديثه أن يتخيروا لنطفهم وينكحوا الأكفاء[1] ، أي لأولادهم ، وأن يأخذوا من الأباعد أكثر من الأقارب ، وكأنه هو الذي عرف هذه الأمور كلها عليه الصلاة والسلام ، لكنه لم يقل بانتهاء الموضوع عند هذا الحد ، ونجد أن الله تعالى يقول في كتابه العزيز لكل أب وأم: «.. فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لإن آتينا صالحا لنكونن من الشاكرين»[2] ، ليدل أن هناك تصرفا كبيرا من قبل الحمل وأثناءه وبعده ، فالحمل هنا قد تم والصفات الوراثية كما تقول هذه النظرية قد انقسمت وانتقلت فما الأمر الباقي إذا ، لهذا نقول لكل من يعتقد بانتهاء الأمر عند هذه النظرية: هل سأل نفسه لماذا بعض الأبناء تأتي مخالفة بأشكالها كثيرا لآبائهم حتى لتظن أنها ليست من سلالتهم ؟ ثم الذي يأتي مشابها لأحد الآباء أو لكلا الأبوين هل سيشبههم في طفولتهم أم في شبابهم أم في كبرهم ؟ كذلك هل سيشبههم في طفولته أو شبابه أو كبرته هو ؟ ثم مامعنى مايقال له بالشهوة التي تصبح علامة في الولد ، ومامعنى مايسمى

---

١ حديث حسن وله طريق من عمر رضي الله عنه.

٢ سورة الأعراف ـ آية ١٨٩ ـ ١٩٠.

بالوحام عند الحمل ؟ وكل هذا مشاهد ، لايمكن لهذه النظرية وضآلة هذا العلم أن يجيب عن كل هذه التساؤلات. لكن لنر نور القرآن الكريم ماذا يفعل ، وسأثبت هذا الشيء عمليا ومنطقيا أولا ، ثم أريد أن يتناولها الجميع لكل عالم وباحث إذا لم يقتنع بها بالنقد والتجارب والالتفاف إلى أن يثبت له صحتها ويسلم بها ، وسيتبين لنا صدق دلالتها من القرآن الكريم الذي يجب أن يعتبر به الناس جميعا ، وأن هذا الشيء هداية من الذي أنزل هذا الكتاب الكريم.

٣. التفرد..

وأما الأمر الثاني:

إن المخلوق البشري والمخلوق الحيواني ليسا كآلة أو محرك تحركه الكهرباء أو الوقود فيصبح له برنامج حركي خاص لايحيد عنه ، وإنما يتميز هذا المخلوق بالإرادة الخاصة التي تحركه أو مانسميه بالروح التي تبعث الحياة في عروقه وحركاته ، والتي من دونها يصبح جسدا هامدا لافائدة منه ، و لم يستطع العلم إلى الآن تحديد هويتها ، فهي ليس الإنسان أو الآلات التي تعطيها ، فصلتها حتمية بالذي هو فوق هذا الوجود وهو الخالق لهذا الوجود ولايكون شيء إلا بإذنه. وأيضا هناك مايميز المخلوق البشري عن المخلوق الحيواني في هذا ، وهو الإرادة الحرة والحكم، لأن الحيوان إرادته محكومة أو منظومة وفق طرق محدودة اتفقت مع تكوينه وإدراكاته ، وهذا كله يرجع إلى مامتاز به روح الإنسان عن روح الحيوان ، فروح الحيوان منشؤها من الأرض لكنها بإذن أو أمر من الله الخالق العظيم، كما قال تعالى مثلا عن الطير مخاطبا عيسى عليه السلام: « وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا

بإذني»[1] ، فكلمة (تنفخ فيها) حددت أنها من الأرض لكنها بإذن من الله الخبير، أما عن الإنسان فيقول تعالى:«ثم سواه ونفخ فيه من روحه» فهي إذاً من أعلى ، من فوق ماجعله الله في الأرض وماحولها. نقول نتيجة لهذه المفارقة وحدها: قد يتيسر الحصول وفق نظرية الاستنساخ هذه على بعض النعاج أو بعض حيوانات أخرى بعد الكثير الكثير من التجارب والمحاولات ، لكن من الذي يستطيع أن يأتي بالروح للمخلوق الإنساني حتى يكون إنساناً له شعوره وطبعه الخاص ، وسنأتي على بعض الشروحات فيما بعد. ولنفصل بعض الأمور:

ـ وسلالة :

إذاً نقول: إن الإنسان كما هو معلوم منشؤه من التراب ، ولذلك مرجع غذائه هو التراب ، فهذا التراب يتحول بقدرة قادر إلى لحم في حيوان وحيلة ، ثم هذا وذاك يتحول بقدرة هذا القادر العظيم إلى غذاء ولحم في الإنسان وبناء ، وما لهذه الإحياءات المتكررة دائماً من دلالات على قدرة هذا الخالق من إحيائنا من جديد مرة ثانية بعد أن نصير تراباً وعظاماً بل هذا أسهل من الأولى ، إذا لهذا الغذاء أو هذه الطبيعة والتراب تأثير شديد في تكوين وإنشاء جسد ومعالم هذا الإنسان ، فمنها يكون أصل مرضه وأصل شفائه ومنها يكون تكوين خلاياه وتكوين كل نواة فيها ، وكل جزيء DNA وبناء الرسائل الوراثية ، ربما يقول قائل : إن كل هذا يكون وفق الخطة والرموز الموجودة في الشيفرة الوراثية التي وضعها الله للتكاثر ، نقول : صحيح أن هذه الشيفرة أو الرسالة موجودة وأساسية وأن الذي كوّنها من التراب ورتب هذا التكوين والشيفرة العجيبة هو الله طبعاً ، إذ لايمكن القول إن هذه الطبيعة نفسها الصماء

---

١ سورة المائدة ٥ ـ آية ١١٠.

غير العاقلة هي التي كونت منها هذا الشيء ورتبته ، فهو القادر لاإله إلا هـو ، لكن هل اكتفى من وضع هذه الرسائل ـــ المورثات ـــ بإنشـائها ثم تركـها وانتهى الأمر ؟ إن لكل رسالة ما خطوطا عريضة أساسية وأمـورا معلقـة ، الخطوط العريضة هي سنن وقوانين تدل على واضع الرسالة وعلى موضوعـه وماهو نافذ وماهو منته ، أما الأمور المعلقة فهي الأمور الحسابية المتعلقة بمـن أرسل إليهم وبأحوالهم والتي علق واضع الرسالة تغييرها بأفعالهم

إذا فهذه الخطوط العريضة في الرسالة الوراثية هي أنواع تراتيب المورثات ، كل جزء منها حسب وضعه ، وهي التي تنطبق عليها تلك النظريـة الوراثيـة الآنفة الذكر. والتي لايمكن تغييرها إلا برسالة قاهرة أخرى من المرسل ، قـد تكون مخالفة لها بالشكل مثل تشوه في الجنين قبل الولادة أو أثناءها أو مرض ما بعد الولادة مثل مرض فيروسي أو مرض الإيدز مثلا المنتقل عن طريـق الأم بالولادة ، وقد تغير الرسالة الثانية في الأولى تغيرا جذريا. أما الأمور المعلقـة أو الرسائل الصغيرة في هذه الرسالة الوراثية فهي مايطرأ على هذه المكونات مـن تغير في صفاتها دون تغير أساسها وبشكل لا يكون تمييزه سهلا ، وهـي مـا يرجع إليها بعض الحالات من التغير أو الاختلاف الشديد في الشكل بين الآباء والأبناء ، أو الاختلاف في المظهر ما بين مراحل حياة الإنسان نفسه ، وأيضـا يعزى إليها أمر ما يسمى بالوحام ، ولكن ما مصدر هذا؟ هل هو الطبيعـة وحدها؟ وكيف يكون هذا التأثير في الأمور المعلقة مع الإيضاح؟.

١. في الأرحام والوحام..

إن مصدر الوحام هو الطبيعة أو العوامل والظروف البيئية ، لكن بالإضافة

إلى تأثير الغذاء والأجواء هنالك تأثير الأمور النفسية والمزاجيـــة والعصبيـــة ، فالإنسان ليس مثل آلة تتحرك ، وهذه الأمور منها ما يرافق عملية الحمـــل أو الولادة أو أثناء حياة الإنسان ، وإننا لنرى كثيراً من الصحة الجسدية والأمراض سببه هذه الأمور المزاجية. ثم الاختيار من هذه التأثيرات كلها مجتمعة يرجع إلى الخالق العظيم رب العالمين بما يراه وحده وفق حكمته ، والله تعالى يقول: «هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء»[1] ، هذه الآية فيها الخطوط العريضـــة والأمور المعلقة في الرسالة الوراثية. أما قوله: في الأرحام إنما لتدل على مايجتمع في هذه الأرحام من صفات ورسائل وراثية. وبناء على إرادة الاختيار له منـــها يكون أساس الصورة القادمة.

لنوضح تأثير آلية الأمور المعلقة أو الرسائل الصغيرة في مجال الوراثة بشكل عملي ومبسط يمكن أن يفهمه الجميع: إذا أتى أحدنا على مســـابقة طعاميـــة نوعية على طبق من الطعام يضم قطعاً من البطاطا المسلوقة ، ومع مادة مثـــل البرغل ، ومحاطة بقطع البندورة الجميلة وأوراق الخس المقطعة ، وقد ســـكب أخيراً وغطى وجهَ الصحن مادة دسمة مثل السمنة العربية الطيبة ، فلابد مـــن أن كل واحد سيميز شيئين هامين: سرعة التحضير والتي ينتج عنها نسب مختلفـــة من المواد من صحن إلى آخر واختلاف في التركيز ، ثانياً: طريقة سكب المـــادة الدسمة وكميتها ، حيث بها نجد أن طعم هذه المادة قد وصل إلى كل قسم مـــن الطعام في الطبق أو جزء من أجزائه ، أو أن طعم أجزاء الطعام يظهر في هـــذه المادة. هذا المثال ينطبق على موضوع الوراثة الذي نتناوله وتأثر المادة الوراثيـــة بالطبيعة: حيث قطع البطاطا تضم السكر والبروتين ، والبرغل يضـــم النشـــاء

---

١ سورة آل عمران ٣ ــ آية ٦.

وعنصراً آزوتياً ، والبندورة والخس يضمّان الجزء المعدني وربما أيضاً عنصراً آزوتياً ، والسمن مواد دسمة وآزوتية.

٢. أســـاس..

فمن المعلوم في علم الوراثة الحديث أن المادة الوراثيـــة أو المورثـــات أو الصبغيات كما دل العلم أو مايمكن أن ندعوه بماء الرجل أو ماء المرأة ، هـــي التي تختزن الخصائص الوراثية وبشكل شيفرة وراثية ، فهذه المورثات أو هـــذا الماء ذو البنية المعقدة تحدد مكوناتها على شكلين: مكون الحمض النـــووي ذو الرمز DNA ومتصلاً معه البروتين الشكل الثاني ، وتتخذ المكونات شكل سلسلة ملتفة أو شريط ذي أشفاع من جزيئات أو نكليوتيدات ، كل جزء أو كـــل حلقة فيها أربعة أو ثلاثة عناصر أساسية هي: عنصر السكر النووي ــ جـــزء معدني أو جذر فوسفات ــ الجزيء البروتيني أو الهسيتون بشـــكل معلـــق ــ أخيراً العنصر الآزوتي.

ويشكل تتابع الجزيئات أو النكليوتيدات أو الحلقات في السلسلة الببتيديـــة رموزاً مختلفة هي رموز الشيفرة. وكل جزيء أو حلقة في الشريط يمكن تمثيلـــه بهذا الشكل الرمزي المبسط لطرف واحد من الشفع:

العنصر تابع لمركب	الآزوتي + (الســـــكر + الفوسفاتي) + البروتيني

وقدر بعض الباحثين عدد هذه الحلقات أو الجزئيات على شكل أشفاع بـ ١٠ ٩ أشفاع في الخلية الواحدة. والذي يهمنا في هذا المثال هو تغير نسب المواد الداخلة في الطبق حسب الطريقة المنتجة ، وأيضاً اختلاط المادة الدسمة مع باقي المواد ونسب هذه الاختلاطات ، وقيامها مقام الرابط أو الموصل العام ، وهو الأمر الذي ينطبق على المورثات وبالتالي الرسالة الوراثية، فهنا أيضاً تغير نسب المواد المكونة للمورثات ممكن بحيث لايغير من طبيعتها وصلاحيتها ، وأيضاً الاختلاطات من خلال الدسم ومن بعض المواد التي يمكن أن تدخل في هذه المكونات.

التأثر الطبيعي وظروف البيئية :

ما قاله البحث العلمي الذي اقتصر على مرحلة الجينات دون النظر المتكرر في المراحل الأخرى تجاهلٌ لأثر الطبيعة وتقلبات الإنسان في مراحل حياته على المورثات له وللجيل بعده ، وقوله كذلك : لا تغير في صيغة هذه المورثات أبداً ولا في أي شكل من الحلقات المشكلة للـ DNA، مع أن مثالاً بسيطاً وسريعاً نذكره: هو أن بعض عمال المناجم الذين يتعرضون لتبدل كبير في ظروف البيئة تتأثر حياتهم وأجسادهم بهذا ،وتظهر هناك بعض التبدلات عليهم وعلى أولادهم ، وكذلك العوارض أو التأثيرات بعيدة المدى للتفجيرات النووية حتى أجيال عدة والتي كل مُن يُعدى وكذلك ، بها يصير أشبه بالحيوان بل الحيوان أفضل بكثير. فتعتبر نتيجة بحثهم هذا فيما قالوه قاصرة أو غير كاملة ، بالتالي يوجد فيها خطأ ، إذ

أن الارتباط الوثيق بين الطبيعة والإنسان لايمكن تنحيته ، وإنه في كل يوم وفي كل حين هناك دخول للطبيعة على الإنسان من خلال الطعام والهواء ، لايعني هذا أن خلايا الإنسان يمكن أن يدخل عليها كل شيء من غير بوّاب ، لكن أكبر مثال على أثر هذا الدخول فعل الأدوية المأخوذة أياً كان نوعها وأيضاً الغازات الضارة على جسم الإنسان، على كل لانناقش هنا الدخول للمواد الضارة وإنما نريد المواد الطبيعية، فمن المهم جداً أن ينظر الإنسان إلى البيئة من حوله وإلى طعامه ، وقد لفت الله تعالى انتباهنا إلى هذه الأمور والعوامل المساعدة ، فأشار بقوله: «فلينظر الإنسان إلى طعامه أنّا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حباً وعنبا وقصبا وزيتوناً ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا»[1] ، كذلك وكما في مثال الطبق إن المتسابق أو الصانع هو الذي رتبه ، وهو من وضع النسب المتفاوتة مع بعضها البعض، مثل هذا فإن الله رب العالمين هو الذي هيأ لنا كل مانستخدمه لطعامنا ، وهو الذي أعطى لكل شيء أمره في الطبيعة ، وكذلك الله تعالى هو الذي هيأ ورتب كل المواد المكونة لسلسلة الشيفرة ، الوراثية وجعل سبحانه ما من شأنه أن يدخل التغيير المستمر في تراكيزها دون أن تفقد صفتها العامة التي جاءت بها ، فليس المهم فقط تغير الأسس الآزوتية للحلقات بل كل الجزيئات المكونة لكل حلقة ، فالعيون السود مثلاً يمكن أن تأتي رمادية باختلاف التركيز دون اختلاف التركيب ، وقد يتسرب التغير لطرف واحد من طرفي حلقة الشيفرة أو لشريط واحد من شريطي الـ DNA دون الطرف الآخر ويكثر هذا الاحتمال عند عمليات

---

١ سورة عبس ٨٠ ـ الآية ٢٤ ـ ٣١.

نسخ الـ DNA أو تضاعفه ، كما يمكن أن تحدث مثل هذه الاختلاطات البسيطة للتراكير في الجينات المتشكلة لتعطي المورثة شكلا مغايرا عما كانت عليه فيأتي عوضا عن العيون السود عيون عسلية اللون وهكذا ، وكمثال تقريبي موضح: إذا كان هناك سلسلة تصنيع نوع معين من أنواع السيارات على خط واحد فربما حسب ضرورة ما يركب لهذه السيارة مثلا عجلات من نوع آخر يصلح أيضا أو إضافات أخرى أو مثل هذا ، وتبقى السيارة مميزة باسمها ونوعها المعروف.

١. من يثبت..

قبل أن نكمل نقول للذين لايقتنعون ليجربوا في أبحاثهم الوراثية وليأخذوا عينات إن استطاعوا من جزئيات الـ DNA تحت المجهر الدقيق من خلية لعضو معين أو لخلية جنسية ويقوموا بتحليلها كليا بأمانة إن أمكن ويسجلوا نتيجة هذا التحليل في وقته ، ثم ليعودوا لا أقول بعد سنتين أو أشهر بل بعد أيام وليقوموا بنفس العمل من نفس العضو أو المكان وليسجلوا مجددا النتيجة، ثم يقارنوا بين نتيجتي التحليل، وليشهدوا على هذا غيرهم ثم ليتقدموا بالبرهان ، إنهم لن يجدوا إلا التصديق بهذا الكشف.

تعزى تلك التأثيرات والاختلاطات إلى رسائل صغيرة ليس الإنسان هو من يتحكم بها أو وضعها، ولكنها تتأثر به وبعواطفه ومزاجه، وتأتي عن طريق الأنزيمات والاحتراقات ، وعن طريق تداخلات الدسم والشحوم

البناءة وما إلى ذلك مع المواد الأخرى في الخلية.

٢. مثال التحسس..

وكمثال مهم في هذا: الأمراض أو الأمور التحسسية التي لاترجع إلى أصل جرثومي، لكن بسببها قد يتفاقم الأمر ويصبح اختلاطا جرثوميا أو فيروسيا، فحقيقة هذه الأمور التحسسية هي مواد تدخل عن طريق الغذاء أو الهواء وتصبح على شكل رسائل صغيرة لايكون منتبها لها الإنسان أو مهيأ لها من قبل، فلايستطيع الجسم التعرف عليها ثم استيعابها، فيكون الأمر من الجسم بمهاجمة هذه المادة، فهي أصبحت كالجسم الغريب المهاجم، فحسب ضعف الجسم تكون النتيجة، فقد تنتهي خلال دقائق أو ساعات، وقد تمتد إلى أيام وسنين، بمثل رسائل بروتينية يكونها الجسم ويرفضها في آن واحد، وعلى شاكلة هذا تكون مثلا بعض أسباب الحكة أو السعال أو الربو التحسسي، وقد يكون هناك حالات اختناقية أحيانا، ولنقرب فكرة التداخل الطبيعي بهذا المثال: إذا رششت أو نثرت مادة الفلفل اللاذع على مادة شحمية أو دهنية مثلا في طعامك ومن المعروف أن المادة الدهنية لاتنحل بالماء ومادة الفلفل هذه لاتدري كيف ستتجمع في الدهن وتتسرب، وعند تناول هذا الطعام فلربما سعلت فجأة أو تضايقت ببعض الطعام. وفاجأتك ذرات الفلفل، إلا إذا كان تهيؤك لها هو الغالب.

فمثل هذه الرسائل الصغيرة هي ماسميناه سابقا بالأمور المعلقة في الرسائل الوراثية، فهي متعلقة بشكل وثيق بما يدخل من الطبيعة وبالضغط

النفسي وبالمزاج لهذا الإنسان ، وكما قلنا: الاختيار فيها يرجـــع إلى الله يفعل بها مايشاء إنه هو العليم الخبير.

٣. مع الزيوت..

ومثال على ذلك أيضا: هناك بعض الزيوت تحترق أو تســـتقلب في جسم الإنسان مثل زيت الزيتون ، زيت الذرة ، ريت الشـــعير ، وتنتـــج حموضا أمينية أو سلاسل ببتيدية ،وبدورها هذه الحموض لاتســـتطيع أن تؤثر على هذه الزيوت ومثلها فتطرد منها ما تشاء ، لذا فقد يتســـرب إلى هذه الحموض أشياء من هذه الزيوت ، وتصبح بشكل رســـائل صغـــيرة فتحدث فيها تغيرات لاتكتشف بسهولة. ومن المعـــروف أن الحمـــوض الأمينية هي حجر الأساس في الشيفرات الوراثية ، فمثلا اكتشف حديثـــا أن التعامل بالبلاستيك مع الزيوت طويلا يمكن أن ينقل بعض الأمراض الصعبة.

٤. سر في سورة التين..

وإلى هذا يرجع في قول الله تعالى السر في الربط بين الزيتون الذي هو أفضل المواد الغذائية الضرورية للإنسان وبين طور سنين الجبل الذي رفعه الله تعالى فوق بني إسرائيل بمثابة آية و تهديد لهم في ميثاقهم ، إذ يمكـن أن يحول الله هذا الميثاق عندما ينقضه هؤلاء في أي لحظة إلى أذية فيقع الطور على رؤوسهم، كذلك يمكن أن يجعل الله سبحانه مع طعامكم في أية لحظة أذية وضررا إذا أنتم لم ترجعوا وتسرعوا إلى الله وميثاقه ، فالتين والزيتون فيهما طاقة كبيرة وأمان جميلان للإنسان ، ولكن كما رأينا بمثل تأثيرهمـــا

المباشر على الحموض الأمينية نجد في أي لحظة ربنا قدر على أن يدخل بهما الضرر والأذية والعذاب إلينا ، لما لهذا التأثير من سرعة في الوصـــول إلى الخلايا ، قال تعالى في سورة التين: «والتين والزيتون وطور سنين وهـــذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين»[1].

ولأن هذا المعنى الذي أشرنا إليه أساسي في السورة ، وتدور عليـــه ، قدم الله ذكر التين على الزيتون مع أن الزيتون أكـــثر أهميـــة في غـــذاء الإنسان، فالتين في هذا المعنى أوسع قنوات واختلاطا من الزيتون.

ولسنا الآن بتفصيل الشرح عن هذه السورة ، لكن من الجميـــل أن نذكر أيضا كيف ربطت الآية بين الأمور الطبيعية في صدر السورة والـــتي أتت على شكل قسم وبين خلق الإنسان وتفضيله ، وأن الله وحده هـــو المتصرف بأسباب قوة هذا الإنسان ومآله ، وانظر كيف أتـــى التـــهديد والوعيد بعدها «ثم رددناه أسفل سافلين» بالضلال والعذاب ، وبهذا لاترى الإنسان يعرف سبيلا للسعادة، وكذلك من المرض والوبـــاء والخـــراب والدمار وثم العذاب الشديد الذي ينتظره بعد الممات ، ثم جعل الله سـبيل النجاة والفلاح بالرجوع إليه سبحانه وتعالى ، والإيمان به ، وبما أنـــزل ، والعمل الصالح. فقال بعدها: «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر».

٥. ماذا عن الوحام..

وإلى تلك الرسائل والأمور المعلقة أيضا يرجع تفسير ماتلاقيه المـــرأة

---

١ سورة التين ٩٠.

أثناء الحمل فيما يسمى الوحام، فالجنين عندما يتكون ويتخلق يأخذ من الأم ويضعف منها، ويصبح تقبلها ومقاومتها لبعض الأطعمة والأشربة ضعيفا، فتصبح كثيرة الإقياء، وربما كان هذا خيرا لها حتى لايضرها الذي لم تتقبله، وأيضا في مثل هذه المرحلة إذا ماتخذت شيئا بالمزاج العصبي الحاد سواء شهوة أو تقززا أو غير ذلك فيترجم هذا إلى أوامر في الجسم لايدركها الإنسان، فيمكن أن تأخذ شكل رسائل صغيرة مباشرة وتنسج شيئا فشيئا من خلال مايداخل الجسم نسيجا عضويا دقيقا أو نوعا من الحموض موافقا لشكل هذا الحدث ثم تختلط مع مايتخذه الجنين من جزيئات لاستكمال مورثاته المتكونة. لهذا أوصى الله تعالى بالأم وأشار إليها فقال: «حملته أمه وهنا على وهن»[1]، وأشار إلى الأبوين حيث قال: «فلما أثقلت دعوا الله ربهما لإن آتينا صالحا لنكونن من الشاكرين».

٦. تحليل رياضي..

لنبين مدى احتمال تعدد تأثير هذه الرسائل الصغيرة المعلقة واختلاف أشكالها بتقريب هذا بالتحليل الرياضي التالي: إن عدد الحموض الأمينية في بروتين نموذجي هو ١٠٠٠ نوع، ويلزم لتنظيم كل حمض أميني ثلاثة أشفاع من النكليوتيدات بفضل الوسيط لتتكون في النهاية حلقات الرسالة أو الشيفرة الوراثية، فكل مورثة واحدة إذا من هذه الشيفرة يلزمها ٣٠٠٠ شفع من النكليوتيدات، مع هذا التتابع يمكن إحصاء العدد التقريبي الأدنى لعدد المورثات في الخلية الواحدة هو بمليون مورثة، ولنر

---

١ سورة لقمان ٣١ــ آية ١٤.

ماحول هذه المورثات من ارتباطات ، فالدسم مثلا وهي العامل الأوسع انتشارا التي يسهل معها ارتباط المواد يمكن أن تتحلل أو تتحد مع مكونات أي حلقة من حلقات هذه الرسالة الببتيدية ، وهذه المكونات إجمالا: السكر والبروتين وحمض الفوسفور والأسس الآزوتية ، وكذلك من جهة أخرى يمكن أن ترتبط مع البروتينات السيتوبلاسمية أو العناصر الداخلة في محيط النواة بروابط مختلفة وهذه العناصر ستة: الكربون والهيدروجين والأوكسيجين والآزوت ثم الفوسفور والكبريت ، فيكون احتمال هذه الارتباطات الممكن هو ٤×٦=٢٤ أربعة وعشرين ، إذا أضفنا إليها تعدد العناصر الممكنة الوجود في البروتين أو الهيستون المرتبط مع الـDNA وهي ستة أيضا يكون المجموع ٢٤+٦=٣٠ ثلاثين وللطرف الواحد في الشفع فيكون الإحصاء ٦٠ عدد المورثات بالحسبان وهو مليون يصبح الرقم ٦٠مليون احتمال تغير يمكن أن يدخل على مكونات الخلية بما فيها المورثات ، تغيرا نسبيا وليس نوعيا ، ثم إذا أضفنا تأثيرات بعيدة بسيطة لكنها موجودة وفعالة هي احتمالات التبدل الضوئي وتغيرات المناخ الذي يمكن أن يؤثر على الخلايا والذي يدور على مدار السنة القمرية ليلا ونهارا فيصبح الرقم الإجمالي التقريبي المحتمل للتغير الكلي الذي يمكن أن يصيب الخلايا وخلال حياة الإنسان هو ٦٠ مليون سنة تغيرا نسبيا.

تأخذ المورثات منها احتمال تغير ضمني داخلي انعكاسي هو مليون سنة احتمال تغير نسبي ، لم يعتبر الباحثون واضعو النظرية من هذا كله سوى احتمال واحد يتيم هو عند مرحلة تضاعف الـ DNA في مرحلة

تكون الجنين ، ثم قالوا : إنه لايمكن ان يكون هناك تغير مـــايذكر علـــى مورثات الإنسان.

٧. ترجمة الأعمار..

هذه التغيرات جميعا تعتبر أسبابا ومداخلات الله وحده هو المســـؤول عن الاختيار منها وبعضها ما جعله الله سبحانه أساسيا يمر عليه البشـــــر جميعا ويتوقف مداه عليه وحده مثل الشيخوخة والهرم وأرذل العمـــــر ، لذلك كان قول النبي محمد عليه الصلاة والسلام: (إن الله ماأنـــزل من داء إلا وجعل له دواء إلا الهرم)[١] ، فالإنسان يولد ضعيفا ثم يأتيه الغذاء وتأتيه تغيرات ومداخلات تجعله يقوى ويكبر وتقوى معه مناعاته الذاتيـــة إلى أن يصل إلى مرحلة يبدأ بعدها الجسم بالانحدار والضعف ، حيث هذا الجسم لم يعد يستطيع احتمال مزيد من التغيرات المستمرة ، وتنشأ المقاومـــــات وتأخذ هذه الأمور من قوته وجسمه ومناعاته ، لهذا فإننا نجد أن الحياة من أولها من أول إنسان خلق إلى آخرها حتى آخر مخلوق تبقى محسوبة ومؤقتة وقد ضبطت حساباتها إلى يوم يقف عنده البشر جميعا ولايمكن تجاوزه وهو الذي قدره الله بيوم القيامة ، يقول الله تعالى: «إن عدة الشهور عنـــد الله إثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعـــة حرم»[٢] ، وقال: «وأجل مسمى عنده»[١] ، وقال: «ماتسبق من أمة أجلـــها

---

١ الحديث صحيح والزيادة في الترمذي.

٢ سورة التوبة ٩ ــ آية ٣٦٣١ــ آية ١٤

٢ الحديث صحيح والزيادة في الترمذي.

ومايستأخرون»[2] ، «فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون» ، لكن لننتبه أن هذا الضعف الهرمي والتغيرات التي يمر عليها الإنسان تكون أكثر مايكون بعدا عن نطافه أو الخلايا الجنسية المسؤولة عن التكـــاثر ، لذلك ليست كل خلية تصلح لأن تكون خلية جنسية صحيحة مهيأة.

ـ الجنس وتيارات الجسم :

إن الخلايا قبل أن تصبح قادرة جنسيا تمر عبر دورة في الجسم ثم ترشح منها على شكل اصطفاء صفوة نقية مختارة من أنحاء الجســم ، ثم تـــأخذ شكلا فيه حماية أكثر من غيره وطاقة ، ثم تنتهي إلى مكان لتأخذ أكـــثر حماية ممكنة ، وإلا فشلت هذه الخلايا جنسيا. إذا بالإضافة إلى أن الـــــ DNA الذي يحمل رموز الشيفرة الوراثية الموجودة في النواة التي ليس مـــن السهولة الدخول إليها فهو في هذه الخلايا الجنسية محـــاط بكثـــير مـــن التحفظات ، وهذا يحدد السبب الأساسي في فشل الكثير من التجارب التي قاموا بها على النعاج. ولكن كيف يكون التغيير في المورثـــات في هـــذه النطاف أو الخلايا الجنسية؟ نقول: إن هذه الخلايا عند تشكلها وأثنـــاء جولتها في أنحاء الجسم يمكن أن تأخذ من بعض التغيرات التي تطرأ علـــى مثيلاتها من الخلايا الجسمية في مختلف أعضاء الجسم كما ذكرنا فيحـــدث تغير مسموح به في المورثات الموجودة في النواة وربما كان تغيرا في أحـــد طرفي الشفع في السلسلة الوراثية كما ضربنا لذلك مثالا فيما سبق.

---

١ سورة الأنعام ٦ ــ آية ٢.

٢ سورة الحجر ١٥ ــ آية ٥.

٣ سورة الأعراف ٧ ــ آية ٣٤.

يأتي سائل يسأل: كيف تكون هذه الدورة للخلايا في جسم الإنسان حتى تكون خلايا جنسية مهيأة أو نطافا ؟وكيف يعني هذا التبادل بينها وبين الخلايا الأخرى؟

إن كل مكان أو جزء من جسم الإنسان فيه إثارات تشعر بالذات؟؟؟ وتشعر بالانتعاش من أجل إتمام نعم الله علينا ومن أجل الحياة والبقاء ، فجعلت بذلك مايسمى بالغرائز فمنها غريزة البقاء ومنها غريزة الجنس ؟ لأنها تعبر عن تحسس جنسه وتقبل جسده ، ويمكن التعبير عن هذه الاختلاطات بمناطق حرارية حسية وكهربائية ، هذه الإثارات المتفاوتة نسبيا والمستمرة ومايعمل فيها من تأثير هرموني منتشر وتواجد أنزيمي تعمل على إنشاء تيارات خلوية ، هادئة حثيثة ، تجول في جميع أنحاء الجسم، وتعمل على تنظيمه مع التيارات الأخرى ، لذا فهو يتميز بالانتعاش والسرور فبهذه الصفة الدورانية تتميز هذه الخلايا بقدرة اصطفائية تقوم باستمرار على إبعاد كل احتمال فيه ضيق أو أذى، لذلك دائما وفي كل عضو من الأعضاء مستويات متفاوتة من عمليات الاصطفاء، ودائما تتواجد الخلايا التي أخذت بالصفاء وهذه الخلايا بدورها تتناقل الرسائل التي يمكن أن تكون قد انتقلت إليها ضمن المورثات وأخذت تتثبت ، وهذا التناقل يشكل تيارا خلويا متصلا ، ويمكن الإحساس به عند كل إثارة خارجية إضافية من أي ناحية كانت وكذلك عند خروج المني من الإنسان ، حيث لهذا كان اغتسال الرجل والمرأة بعد هذا الخروج هو عين الحكمة لما لهذا الخروج من شد لطبقات الجسم وخصوصا الطبقة السطحية

وهي الجلد ، وأثرها عليها ، فيأتي الماء ليعيد توازنهـــا ، ينتـــهي ذلـــك التيار الخلوي باستقرار تام من بـــين كـــل الخلايـــا، وهـــذا يدعـــى النطفان ، والخلايا الجنسية المهيأة لعمليـــات التكـــاثر والموجـــودة في أمكنة معينة ، ويقصد بكلمـــة النطفـــان أي اصطفـــاء الشـــيء مـــع الاستمرار، أو ميلان المـــاء حـــتى اصطفائـــه ، وليـــلة نطـــوف: أي أمطرت كاملا حتى الصباح ، ويقال أيضـــا: النطـــاف أي مـــا انســـل من الجلد من عرق ، لهذا يقال: نطفـــة الإنســـان ، أي مـــا اصطفـــى منه واستمر حتى استقر ، في هذا قال الله عـــن بدايـــة الإنســـان: «ألم يكن نطفة من مني يمنى ثم كان علقة..»[1] ، من هـــذه الآيـــة صراحـــة نجد أن النطفة تختلف عن المني ، أي النطفة هي مـــن المـــني ، وليســـت هي نفسه ، وإنما صفى حتى أخذ شكلا مهيأ مســـتقرا ، وكلمـــة يمـــنى يقدر له هذا الطريق أو السبيل من بـــين خلايـــا وجســـد الإنســـان ، أما ماجاء في آية: «أفرأيتم مـــاتمنون»[2] ، فأصلـــها بالإضافـــة إلى مـــا مر آنفا هو تطلبون هذا الشيء المقـــدر ليخـــرج وقـــد جـــرى عليـــه ماقـــدر له. إذا هذه الخلايا النطاف من خـــلال دورتهـــا واســـتمرارها قد داخلها ماداخلها من تلـــك الأمـــور المعلقـــة والرســـائل الصغـــيرة بالشكل المسموح به ، وخرج منـــها مـــابقي مـــن الأمـــور جميعـــا ، فأصبحت صافية ثم مستقرة ، ولايكون بعد ذلك مـــن تغـــير ، وهـــي متجددة ، لذلك يمكن أن نطبق على هـــذه النطـــاف بعـــد الاســـتقرار تلك النظرية التي تنفي أي تغير لمحتوى الـــ DD N A أو المورثـــات.

فبعد أن يجتمع الماء المستقر أو النطاف في الأرحام للتكاثر يكـــون بدايـــة

---

١ سورة القيامة ٧٥ ــ آية ٣٧.

٢ سورة الواقعة.

وأساس الشكل الإنساني حيث قال تعالى: «هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء»[1] ، أما عن سرعة ذلك التيار الاصطفائي والتيارات الخلوية وانتقال الخلايا إلى أن تكون منيا ثم نطفة فهذا يتعلق هذا بدورات الدم و دورة السيالة العصبية وغيرها فيما يسمى بنظرية القطوع في جسم الإنسان ، التي يمكن التكلم عنها في مناسبة أخرى.

إذا مايكون قبل هذه النطاف من خلايا إجمالا ليست مهيأة لعملية التكاثر ، ويمكن لأية واحدة منها أن يطرأ عليها في أي لحظة تغير ما بسبب مابقي فيها من الأمور المعلقة أو الرسائل الصغيرة ، فتخفق في قدرتها على التكاثر ولهذا يرجع السبب في فشل كثير من التجارب فيما يسمى بالاستنساخ لنعاجهم ، حيث كانت الخلايا التي أخضعت للتجربة لم تؤخذ من المكان الصحيح المهيأ فيما يسمى بالخلايا الجنسية التي تعادل النطاف ، وإنما كانت من مكان الثدي أو مثل ذلك ، أما بعض النجاحات التي حصلوا عليها فيرجع أمرها لأن هذه المخلوقات وغيرها من الحيوانات ليست معقدة وكاملة كالإنسان ، أي ليس فيها ذلك الاصطفاء الكبير الدقيق مثل مافي الإنسان.

١. الإنسان القديم والعري..

وكمثال على هذا: إننا نجد أن أصناف الحيوانات على اختلافها تأكل ماتشاء دون اعتبار إن كان الطعام مطهوا نظيفا أو طازجا أو غير ذلك ، وأنها تتعرض للطبيعة بأشكال لو تعرض لها الإنسان لكان هلاكه ، ولهذا كان أول ماوجد الإنسان على الأرض أنزل معه لباسا وأنزل له مايأكل من الأنعام وكان تام التمييز لطعام وغيره ، وكل مايقال غير ذلك محض نظرية وسراب ،

---

١ سورة آل عمران ٣ ــ آية ٦.

لانتكلم هنا عن مستوى الأدوات والحضارة، قال تعالى في هذا: «وقلنا إهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين»[1]، وقال: «قد أنزلنا إليكم لباساً يواري سَوْءاتِكم وريشاً»[2]. ليس معنى حالة اللامبالاة في حياة الحيوان هذه أنه أفضل من الإنسان، بل لأنه لم يخلق ليميز ويرتقي مثل الإنسان، وفي هذا سر سنذكره لاحقاً، لذلك ليست هناك خطورة في تجاربهم هذه على الحيوان ولو تعرض مصيرها للفشل.

٢. دميـــة..

ومن سبب ذلك أيضاً أن كل جنس من أصناف الحيوان يُرى كثير تشابه بين أفراده بعضهم لبعض، وقضايا التمييز بينها خفيفة وبسيطة جداً، حتى أنه يذكر أن طائراً كان يطعم أولاده، ومن بينهم دمية مفتوحة الفم كان يطعمها. ولهذا نتج معهم مثلاً نعجة مشابهة للأم أو الأصل، فقالوا عن هذا [استنساخ]. لكن السؤال الذي كان يجب أن يقفوا عنده طويلاً - وأظن أنه قد توضح لنا - وهو أنه هل يمكن تطبيق هذا وتعميمه على الإنسان.

٣. للإنسان مرتبة..

نقول: إن الأمر المنطقي والعقلي والعلمي الصحيح هو أنه لايمكن أن يُنتقل من ماهو أدنى إلى ماهو أعلى فيما لم يشتركوا فيه بصفة، مثلاً مثل تعقيد خلق الإنسان الكامل وكثير الاختلاف في الألوان والأشكال فيما بين أفراد جنسه، يقول ربنا تعالى: «ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم»، فمن أجل كمال لإنسان كانت الدقة في تباين أشكاله وألوانه، فكل إنسان هناك مايميزه عن

---

١ سورة البقرة ٢ ــ آية ٣٦.

٢ سورة الأعراف ٧ ــ آية ٢٦.

غيره ويخصه ، فهذا ليس للحيوان ، وبالتالي لايجوز التعميم. أما قضايا مثل المرض والتغلب عليه وما ذكرناه في أمور التماثل بين الإنسان والمخلوقات الحية من حوله في شرح مايخص كلمة أمم في آية سابقة ، فما يصيب الحيوان منها يمكن أن يصيب الإنسان وهنا يجوز التعميم.

٤. هل تقبل أبا أو أخا قردا..

وإذا كان للفشل النصيب الأكبر من تجارب الاستنساخ تلك على النعاج فكيف به إذا انتقلوا إلى حيوان آخر مثل القردة ؟! الإخفاق يكون أكبر ، فكيف بالإنسان ؟. فهل يمكن احتمال لنجاح هذا القول ولو ضئيل ؟ فذاك القرد مثلا هو مسخ ، والإنسان كمال ، ولايمكن أن يقال عن المسخ كمال ، ولكن الانتقال من هذا الكمال إذا فقد بعض مقوماته إلى ذلك المسخ جائز ، وقد مسخ الله أقواما خالفوا أمر الله وفسدوا في الأرض إلى قردة وأكثر ، فقال سبحانه: «قل هل أنبئكم بشر من ذلكم مثوبة عند الله من لعنة الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت»[1]. وما أظن أن الذي خرج بنظرية الارتقاء وقال للناس إن أباهم حيوان أو قرد إلا هو واحد من هؤلاء الذين غضب الله عليهم ومسخ الله له أبا أو أخا وربما ابنا وأراد الانتقام لهم ولنفسه من الناس وجعل لهذا التحقير والشتيمة للناس حجة واهية كاذبة شجعه البعض وصدقه بعض آخر وهي: أنه ما معنى وجود بعض مستحاثات أو بقايا عظام لأصناف من القردة تعود لزمن بعيد وإلى جانبها مستحاثات أو بقايا عظام تعود لبشر ، وهل موت إنسان بجانب حيوان يعني أن الأول مسخ عن الثاني ، لقد نسي هذا لسبب ما أن يطبق عكس نظريته هذه وبالتالي يمكن

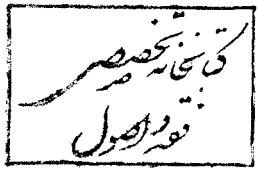

١ سورة المائدة ٥ ــ آية ٦٠.

بعدها أن يتقبلها الذوق. وكذلك هناك مسخ من نوع آخر يتهدد الله به الظالمين فقال تعالى: «ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون»[1]. إذا فالنتيجة لا يمكن تطبيق الشيء نفسه وتحقيق نجاح ولو بسيط إذا ما أخذنا الخلية من إنسان ما ذكرا أم أنثى من ثدي أو مثله من غير مكانها الصحيح، بأن تكون نطفة مهيأة من مني هذا الإنسان، ربما يصلون لبعض الانقسامات للخلية بجهد جهيد وبعد آلاف التجارب، لكن الأمر لن يطول أو يستمر.

٥. هل تقبلين..

ومن تلك التي تعرض نفسها للخطر وتقبل أن يهجن في رحمها شيء لاتعرف عقباه؟! وهناك سبب آخر ليس هو التجربة وإنما يتعلق بالسر الذي في الإنسان وسنذكره بعد قليل. أما إن أخذت الخلية من مكانها الصحيح أن تكون نطفة وأجريت عليها التجربة فيمكن الوصول إلى نتيجة، وقبل أن نقول هل يصح تسمية هذا بالاستنساخ نذكر شيئا هاما جدا.

٦. الإيدز والعافية..

هو أن كثيرا من الأمراض الخبيثة نذكر منها مرض الإيدز القاتل تصيب الإنسان بفعل تلك الرسائل الصغيرة أو الأمور المعلقة كما عرفناها، أي هنالك أشياء غير جرثومية وغير فيروسية تكون موجودة في دم الإنسان ومع خلاياه بفعل تداخل الطبيعة، لكن يأتي أمر غريب آخر عن طريق ذلك الاختلاط الجنسي مع الغير والذي حقيقته وأصله ليست جراثيم، صحيح أن في ذلك اختلاطات وأوساخا لكنها ليست هي السبب المباشر، وإنما الأصل والسبب

---

١ سورة يس ٣٦ ـ ٦٧.

هو منشأ ودافع ذاتي عضوي ونفسي. ونوضح هذا مباشرة: إن الإنسان كما يتفق الجميع هو مخلوق ليس له في خلقه وأصل وجوده أي إرادة أو حرية ، فهذا الخلق والوجود مقهور به من الخالق الله جل وعلا ، ولا نصنف النعم هنا، لذلك في الإنسان نزعة وارتباط وثيق مع الوجود ، ولايمكن القضاء على هذا أو تنحيته ، ومحاولة ذلك يعني الهلاك ، نعبر عن هذا بما يسمى الغرائز ، ونخص منها بالذكر وأعلاها غريزة التدين ، أي شعور الإنسان بدافع نحو الأقوى وحاجته إلى من أنعم عليه وأوجده ، ليربط به همومه وسؤاله وآماله ويستعين به ، وهو أمر ربما يستكبره الإنسان ويرفضه ، لكن لايمكن أن يرفضه الجسد ، لأن هذا الجسد مخلوق مثل باقي المخلوقات التي لا إرادة لها ولا اختيار ، فحين يأتي الإنسان ليرتبط بعلاقة جنسية مع غيره فهناك دافع في ذاته، وإن لم ينتبه أو يهتم له يدفعه للحصول على إذن من هذا الذي كونه وأوجده وأوجد له الغير ، فلهذا للإنسان تكرمة وقدسية يجب احترامها ، وهو إذن لايقبل من مخلوق مثلنا يختار لنا مايشاء ويبيح ، وإنما يجب أن يكون من الخالق المصور وحده ، وهذا الإذن هو معروف فيما شرعه الله من أشكال محددة وبينه عن طريق الرسل والكتب التي أنزل منذ أن وجد المخلوق الإنساني الأول وهو آدم عليه السلام ، قال تعالى: «ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء»[1].

وكما ذكرنا لايمكن إلغاء أو تجاوز هذا الحافز الجسدي أو غريزة التدين هذه ، فبها يكون حفظ وهناء ولو ارتبط بعشرات النساء ، فإذا ماخالف الإنسان هذا يبدأ الإنذار ويدق ناقوس الخطر ، ويبدأ هذا الجسمُ المخلوق لله

---

١ سورة النساء ٤ ــ آية ١.

برفض هذه العلاقة وتلك المداخلة ولو ظن نفسه أنه يشعر بسعادة ما ، ويترجم هذا الرفض في الجسد برسائل صغيرة لكنها خطيرة تجعل من الأشياء الموجودة مع الدم والخلايا مع الأشياء والأوساخ التي تداخلت معه بسبب هذه العلاقة الخاطئة مكونا جديدا سريا يسلك مثلا سلوك المكون المسؤول في تحضير مكونات الشيفرة الوراثية والمسمى الحمض النووي الرسول الـ RNA ويجبر الخلايا على تكوين مثله وسرعة انتشاره ويصبح مثل عامل أو معول فتاك في الجسد كله ، فهذا المخلوق الممرض الذي نشأ في جسم الإنسان هذا هو سببه ، وقد يتحول إلى عدوى مثل أي مرض معد آخر ينتقل إلى غيره عبر طرقه المعروفة أيضا. إذا ليس للإنسان أن يخالف أمر الله تعالى ، فالإنسان مقهور في كل شيء إلا في اختياراته التي تمثل حريته وإرادته ، والله القاهر هو مسخر الكون كله وفق قوانين وأنظمة لخدمة هذا الإنسان المختار كما سخر له جسده ، ليختار هذا الإنسان ما يشاء من العمل حسب نشاطه وفكره ، وحسب ما يهيئ الله له ويأذن ، وهو تعالى محيط بكل شيء وهو مطلع على الإنسان ويحاسبه وفق عمله في الدنيا بما يناسبها من حساب ثم الاخرة وحسابها، وفق ميزان عادل دقيق بينه في كتابه الكريم ، فالإنسان إما أن يختار الرجوع إلى الله والفرار إليه وامتثال أمره والسعادة ، وإما أن يختار مخالفة أمره وعصيانه والعذاب الذي لابد منه ، يقول تعالى: «لقد خلقنا الإنسان في كبد أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت مالا لبدا أيحسب أن لم يره أحد»[1]. ثم إن توصل الباحثون إلى دواء ضد هذا المخلوق المرعب والميت /الايدز/ وهذا حتى بإذن من الله وتفضل منه ، فليس أسهل من إنشاء رسائل

---

١ سورة البلد ٣٠ آية ٤-٧

سرية أخرى في جسم الإنسان وخلق عوامل أخرى ممرضة قد تكـــون أكـــثر خطرا من الايدز نفسه ، وليلحقوا ما يلحقون. إذا ماذا يجب أن نعمل؟ ليسأل كل واحد منا نفسه ولا بد أنه سيجد الجواب.

٧. ماهي التسمية الصحيحة.. ؟

والآن نقول إذا نجحت تلك العملية المسماة بالاستنتاج للنعـــاج علـــى لإنسان في حال أخذ النطاف وفق أسس سليمة وكانت النتيجة مخلوقا جديـدا بإذن الله فهل يصح تسميتها بالاستنساخ ؟ أظن أن الجواب قد بدا ظاهرا وهـو أن في الخلايا كما ذكرنا يوجد هناك دائما اختلاطاً محـــدوداً مســـموحاً بـــه للطبيعة معها ، ويمكن أن يحدث هذا تغييرا نسبيا في أحد شقي المورثة إما مـــن حيث التراكيز أو بإضافة رسائل صغيرة فيها وتنتقل الشيفرة الجديدة لتصبـــح مستقرة في النطاف و يكون للمواد نتيجة التكاثر وتضاعف الـــ DNA حظ من هذا التغيير والاختلاف عن الاصل الذي لا مفر منه ، وبكثرة المورثات وبفضل كمال الإنسان يكبر احتمال هذه الاختلافات ولذا لا يصح أبدا أن نطلق على هذه العملية عند الإنسان باسم الاستنساخ ، فالنسخ أو الاستنساخ هو أن يأتي الشيء الثاني نسخة طبق الأصل عن الأول لا يختلف عنه في شيء إطلاقا بحيث يصح معه ذهاب الأول ، الأمر الذي لا ينطبق هنا.

السر العجيب :

بعد هذا وقبل الانتقال إلى أمر جديد وسبق عظيم له العلاقة بموضوعنـــا وفيه إشارة لتسابق علمي جديد نجد من المناسب الآن أن نذكر السر الموجـــود في الإنسان ، الذي به أصبح مختارا عاقلا حرا فعالا في الأرض ، والذي به كُرّم على غيره وبه ارتبطت مقومات إنسانيته وبه سر وجوده ، كلنا يحس بشيء من

هذا ولكن لا نستطيع تمييزه كشكل مادي ، وهو الذي ارتبط به كما ذكرنا موضوع الرؤيا التي يراها كل واحد أثناء النوم. نعلم أن العلم وقف عاجزا عن أن يوجد خلية حية كالتي عند الإنسان أو مثل التي في الحيوان أو حتى النبات من موادها الأولية وهي التراب والماء وفي هذا إعجاز وبرهان ، هل يقدر على إيجاد خلية عاقلة كما في الإنسان ؟ وقبل هذا هل فهم حقيقة خلقه أولا ؟ إن كل هذا يدل على تفرد الشيء العجيب لدى الإنسان عن كل ما حوله.

١. امتداد العرش..

كل شيء بدأ ميتا ثم أحياه الله الخلاق الواحد العظيم ، فيعطي الله لكل شيء قدره من المادة والماء ثم يعطيه سر وجوده الذي هو حياته ، والماء هو العامل الأساسي المشترك لكل كائن حي يخلق حيث قال تعالى: «وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا» [١] أي هو الذي قسم لكل شيء حظه منذ أن تواجدت الأشياء ثم أعطاه صورته وخلقه ويسره ، فالحكم والأمر له ليرى منا ماذا نفعل ويحاسبنا ، فالعرش تعبير عن حكمه وميزانه الدقيق فقد قال في آية أخرى«والسماء رفعها ووضع الميزان» [٢].

٢. صلة الأسرار.

إذا سر وجود أي شيء هو روحه الخاصة به وتنطق باسمه ، ووجود كل شيء وروحه هو من عند الله تعالى لذلك قال سبحانه على لسان موسى: «قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» [٣] ، فكل شيء إذا يعترف في

---

١ سورة هود ــ ١١ آية ٧

٢ سورة الرحمن ٥٥ آية ٧

٣ سورة طه ــ ٢٠ آية ٥٠

وجوده ونظامه وحياته لله رب كل شيء وحده ،ويقر له بهـــذه الوحدانيـــة ويمجده ، لذا يقول ربنا تعالى: «وإن من شيء إلا يسبح بحمده لكن لا تفقهون تسبيحهم»[1]. لولا هذه الروح الخاصة بكل خلق لما كان هناك وجود وهي من أمر الله وحده لذا قال تعالى: «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمـــر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا»[2].

٣. السر والأمـانة..

لذلك وبعد أن وجدت السموات والأرض والجبال والنبات واســـتقرت عرض الله الخالق سبحانه عليهن الأمانة وهي أمر التمييز والاختيـــار والنعمـــة اويقتضي بعدها الجزاء والعقاب ، فرفضن أن يحملن هذه الأمانة فكان لا بد من روح أقوى وأعظم من الروح التي تُداخل السموات والأرض والجبال والنبـلت فاختار الله سبحانه وتعالى خلقا من تراب من سماوات أو أرض ، وجعل معـــه الماء ثم خلقه تعالى بيده الكريمة على أدق وأعظم تكوين وجعل لـــه مكـــان التخزين والإدراك وهو العقل ليكون هذا المتكون مهيأً لشرف حمل الروح ذات الصفة العالية والسامية ، صحيح إن مثل هذا الخلق سهل بالمقارنة مع السموات والأرض لكنه أدقها وأشرفها واجتمعت فيه كل الخصائص ، ثم بعدها أعطـــاه لله تلك الروح الأقوى من غيرها ، فكانت بها حياته وقوته وحريته وإدراكـــه استمراره ، وهي ما ميزته عن باقي المخلوقات جميعها ، إذ كانت نفخة مـــن ذات روح الله تبارك وتعالى ، وبما أن الله تعالى ليس كمثله شيء حيث يقـول: «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»[3] ، أيضا ما يخرج منه وهي النفخـــة

---

١ سورة الاسراء ١٧ ــ آية ٤٤

٢ سورة الاسراء ١٧ ــ آية ٨٥

٣ سورة الشورى ٤٢ ــ الآية ١١

ليس مثلها شيء في هذا الوجود، لذلك بهذه الروح تحققت إنسانية الإنسان وتفوقه، وبها طبعا كان مقبولا عنده حمل الأمانة وقادرا عليها، لكن مع الجهل والظلم وهما عدوا الإنسان، فقال الله بعد حمل الإنسان للأمانة: «إنه كان ظلوما جهولا»[1]، وبهذه الروح العظيمة التي تمثل الإنسان جعل الله كل شيء في الكون مسخرا له في خدمته يعمل الإنسان فيه ما يشاء ويكتشف منه المزيد فالمزيد لإسعاده. ولهذه الأمانة العظيمة أمر الله الملائكة تلك المخلوقات النورانية التي لانراها بالسجود لآدم، الإنسان الأول، الذي يمثل الإنسانية تعبيرا عن خدمته وطاعةً لله رب العالمين، وأرسل الله أيضا الهداية وبين للإنسان ما عليه من تكليف وما له من جزاء، وهيأ له من جميع النعم وأعطاه من كل ما سأل، وأيضاً قد أنزل سبحانه له من الأنعام ما يأنس به هذا الإنسان من مخلوقات وتكون له راحة وغذاء، وجعل له فيها عبرة، وهي أيضا قد خلقها الله بأيد من عنده وجعل لها روحا خاصة بها، ليست قطعا مثل الروح التي ميزت الإنسان فهي ليست من ذات روح الله لكنها أعلى من الروح التي في الأرض والنبات ولذلك فيها قيمة غذائية أعلى ومهمة قال تعالى: «وآية لهم أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون»[2].

إذا هذا السر في الإنسان هو الذي تكلمنا عنه وإليه ترجع كل الاسئلة المطروحة.

٤. الطيب والطيبات..

ولذلك لا يستطيع الإنسان أن يأكل أي شيء كما يأكل الحيوان أو يأكل

---

١ سورة الاحزاب ٣٣ ــ آية ٧٢

٢ سورة يس ٣٦ ــ آية ٧١-٧٢-٧٣

بعضه بعضا ، لأن جسده خلقت له هذه الدقة وهذه المنـــزلة الرفيعة ليناســـب تلك الروح العظيمة ، إذا هو لا يأكل من الطعام إلا المهيأ والطيب ، ويتخـــير دائما ويتحسس ماهو راق وسعيد ، إلا إذا أبى هو غير ذلك. ولذلك يقول الله تعالى للناس: «يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين»[1] ، ونشير هنا إلى مثال جميل يزيد البحث غـــنى وقوة: هو أنه لماذا لا يصح أكل الدم والميتة ولحم الخنـــزير وأيضـــا بالمقـــابل يصح أكل طعام البحر حيا كان أم ميتا ؟ ثم ما سر تحريم الله لما ذبح مستهلا به لغير الله من الناحية العملية هل فيه ضرر ؟ نقول: بالإضافة لما أثبته العلم بشكل قاطع من ضرر الدم والميتة ولحم الخنـــزير نذكر أن للـــدم خاصيـــة عاليـــة للامتزاج مع كثير من المركبات الطبيعية المختلفة والجرثومية ، وهو أيضـــا إذا أخذ يكون سريع الاختلاط مع دم الإنسان لذلك تصبح التداخلات في جسمه كثيرة وسريعة ، فهو خطر بعينه عليه وعلى جيناته. وكذلك الأمـــر في الميتـــة فعندما تموت يظل قسم كبير من دمها في جسمها وسرعان ما يداخل اللحـــم الضرر شيئا فشيئا باختلاط الدم وعوامل البيئة والجراثيم الفتاكة ، لذلك عندما تذبح في الطريقة التي بينها الله تعالى يخرج حينها كل هذا الدم ويذهب خطره. وهناك أمر ثان سنذكره آخر المثال ، وأما الخنـــزير الذي يعرف بملاصقتـــه للأوساخ وللمأكولات النباتية والحيوانية دون تفريق ، وقد يأكل بعضه بعضـــا أحيانا فهذه مدعاة لأكثر الأمراض وأخطرها بسبب هذا العدد الهـــائل مـــن الاختلاطات والجراثيم والأوبئة التي لا تؤثر على جسمه هو وإنما تؤثر علـــى جسم الإنسان ، فهل يظن الإنسان نفسه خنـــزيرا ؟

---

١ سورة البقرة ٢ــ آية ١٦٨

٥. جنون البقر..

وإلى مثل هذه المناقشة يرجع أصل المرض الذي ظهر آخر زماننا وأصاب البقر ويصيب أمثالها، وأثره الخطير على الإنسان، لأنه قد خلط لها في طعامها أوساخ الدواجن وأشلاء لحوم من ميتة وغير ميتة ومن لحم خنزير مما لا تأكله في طبيعتها ويرفضه جسمها، فلهذه الأنعام والمخلوقات لكل روحه وطبيعته التي خلق لها والتي يجب التعامل معها باحترام فلا ينبغي تجاوزها، فمثلا هل يحب أحدنا أن يخلط له في طعامه مثل السم؟ فهذه المخلوقات خلقت لسعادتنا وهي تأكل الخضر ومما في الأرض من دون لحم، لتحوله لنا بقدرة خالقها بشكل أقوى وشكل صاف لنكمل به غذائنا ونشكر الله، فإذا لم نعمل بهذا انقلب الأمر علينا. أما عن طعام البحر فإن ما فيه من وسعة ماء وتضارب طبقاته وأمواجه ومكوناته العديدة التي تتكفل بكثير من الجراثيم، التي كان ممكن تواجدها على السطح وبرودة مائه وغير ذلك كله كفيل بأن يحفظ طعامه من أن يأسن. وكائنات الماء أيضا ليست على احتكاك مباشر مع الإنسان وليست مسخرة بمباشرة له تحت يده مثل تلك الأنعام لذا لا يطلب أن تعامل مثل معاملة الأنعام، فتذبح ويسمى بالله عند ذبحها أو يكبر له تعالى عليها.

٦. ناقوس الخطر يدق..

أما عن الضرر الفعلي الذي يصيب الأنعام ويصيبنا إذا لم نسم الله عند ذبحها فذكر اسم غير الله تعالى أو إذا أهل لغيره، فسببه لأن هذه المخلوقات كما ذكرنا تتمتع بأرواح هي سبب حياتها التي أكثر ما يدل عليها أنها تفقدها

عند ذبحها أو موتها فتتحول إلى ركام ثم إلى تراب ، فكما قلنا جميع المخلوقات تمجد الله وتسبح بحمده وتوحده بفضل ما أوجد الله فيها من أرواح خاصة بها، فلا يمكن لكل من المخلوقات أن تخالف أمر الله ، لذلك فعند ذبح هذه المخلوقات مستهلّين بغير اسم الله العظيم فإن هذه الأرواح عند خروجها من هذه الأجسام تأبى هذا الاسم وتنكره ويتحول هذا إلى أثر تتركه الأرواح في هذه الأجسام ، يعبر عن الرفض والتصارع ، فينقلب هذا إلى شيء يضر بالجسم كله بشكل ما يمكن أن يظهر أثره الضار من قريب أو بعيد على الإنسان.لذلك فكان من رحمة الله تعالى أن أمرنا بقوله: «قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به»[1] كذلك بالمقابل من رحمته تعالى أن بيّن لنا ضرورة لحوم هذه الأنعام وباركها باسمه عز وجل قال تعالى: «وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإنّ كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم»[2].«ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق»[3].

ـ السعادة :

إذاً كما على هذا الإنسان العاقل المميز أن يأكل الطيب فعليه أن يعمل ما هو طيب وصالح وخير ، فكما أن الطعام السيء يدنس هذا الجسد فالعمل السيء المنكر والفساد يدنس هذه الروح العظيمة ويقللها ، ويفقد نفسه سعادته وتألقه وسر وجوده وحياته ، و إن ظن نفسه مسرورا ، فسعادة الإنسان

---

١ سورة الأنعام ٦ ــ آية ١٤٥

٢ سورة الأنعام ٦ ــ آية ١١٩

٣ سورة الأنعام ٦ ــ آية ١٢١

الحقيقية هي سعادة روحه التي هي أصل وجوده ،وليس انتعاش الجسد أو سروره هو السعادة . فعمل الجسد هذا مما يتفق مع رقي هذه الروح ومقوماتها هو من سعادة هذه الروح أما غير ذلك فهو عذاب للإنسان ودمار..

فهذه الروح وجدت ليسعد من خلالها الإنسان ويرتقي ويسمو ثم يرتقي ويسمو ويكبر فهي التي يتصل بها مع الله تبارك وتعالى ، فإذا اتصل مع الله وصل إلى كل شيء ، والله هو رب كل شيء وهو على كل شيء قدير.

ـ الإعجاز الكبير :

الآن نأتي إلى ذكر الإعجاز الكبير سبق بعيد المدى كما وعدنا ، يربط الماضي بالمستقبل ويعيد إلى الأذهان قصص الأنبياء والقديسين ليرينا الله القدير في المستقبل القريب أشبه بالمعجزة لكنها عن طريق العلم وبدقة وإرادة التقدير الإلهي ، لتكون آية شأنها شأن كل الآيات التي سبقتها ، لتعرفنا بالله تعالى أكثر وتبعد كل وهن قد أصاب الأذهان وكل ماخلفه الآخرون من جهل وظلمة وقع فيها الآباء وورثها الأبناء ورسخها الأعداء ، لنستمع جميعا بكل صفاء إلى ما يحدثنا عنه هذا الكتاب الإلهي المعجز من قرآن الله الكريم.

١. حماية من حولنا..

يقول تبارك وتعالى: «والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق ، النجم الثاقب ، إن كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الإنسان مما خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب إنه على رجعه لقادر»[1]. بعد أن ابتدأ الله العزيز هنا بالقسم مما أوجده هو سبحانه في حق ساطع وقوة نظيرة بقوله: «والسماء والطارق» وفي هذه آية وإعجاز آخر سنتكلم عليه في مناسبة

---

١ سورة الطارق.

أخرى، إلى أن قال ربنا: «إن كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الإنسان مما خلق» ، فأشار الله إلى شيء مهم جدا قلما ينتبه له البشر إلى أن يصيبهم الغرر والمصيبة والواقعة فينجو منها من ينجو ويقع من يقع ويأخذ الأذى منهم مايأخذ ، وهو أن الله العظيم قد جعل لكل نفس بشكل غير مرئي حفظا وأمانا يرافقه أينما كان بأمر منه تعالى ، وفي أية لحظة وأي وقت ومكان يمكن أن ينزع الله عنه هذا الحفظ بأمر منه أيضا وتقدير بقول (كن فيكون) ، لذلك نجد كل ماتصيبه الحوادث من الناس وكل من ينجو منها بأعجوبة ، ثم بعد أن أرانا الله قدرته على كل إنسان أيا كان وعلى الكون كله ، يقول لهذا الإنسان في متابعة لكلام: «فلينظر الإنسان مماخلق» ، وهذه الآية ليست فقط لترينا غرور الإنسان وتكبره وظلمه لنفسه وللآخرين ، مع أن بدايته غاية في الضعف وأنه خلق وما عليه من المدد والروح والقوة مثل قوله تعالى في آية أخرى: «هل أتي على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا»[1] ، ولكن أيضا ليتفكر الإنسان في هذه البداية الصغيرة إلى أن يصبح خلقا آخر وقوة ، وكيف أن الله رعاه وحفظه وجعل له صورا متعددة متناسقة ، وأنه قادر على أن يدخل عليه الضرر في أي مرحلة وبأي شكل أراد ومتى يشاء سبحانه وتعالى بما يوافق حكمته.

٢. خيط الوصل..

والبداية الصغيرة هذه هي حبل الوصل أو النسل مابين الآباء والأبناء وقد عبر عنه الله بقوله: «خلق من ماء دافق» ، فهلا انتبه الإنسان لهذا الخيط المستمر بين الأجداد والأحفاد ، وهذا الماء هو الذي عبر عنه سابقا بماء الرجل

---

١ سورة الدهر ٧٦ ــ آية ١.

أو المرأة. و لم تخصص الآية أنه من الرجل دون المرأة ، أما كلمة دافق فهي تعني أيضا المرأة بالتأكيد فقد أثبت العلم أن الخلية الجنسية أو البيضة عند المرأة تنتقل من المبيض عند امتلائه بالماء أو البيض إلى عنق الرحم بشكل اندفاع أو دفع سريع فتستقر في الرحم ثم تهبط شيئا فشيئا بفعل الثقالة أو حركات الرحم والذي به تكون الدورة عند المرأة ، حيث كلمة دفق تعني اندفاع الشيء قدما والدفق من الإبل مثلا السريع منها.

٣. قول الله وقول الناس..

هذا قول الله الحكيم ، أما مايقوله الناس فهو مقصور على المشاهدة البسيطة التي اعتبروا فيها اصطلاحا أن الماء الدافق يعني للرجل فقط لتلك المشاهدة الخارجية ، ولكن الاعتبار هو لقول الله تعالى فقط ، وهذا الماء المعبر عن ماء الرجل والمرأة سواء ، هو نفسه الذي قلنا عنه المني كما مر معنا لأنه أيضا هذه التسمية ليست قاصرة على الرجل وحده ، فالمني كلمة من التقدير الذي يقتضي به خلق الإنسان ، وليس لأنها مادة الرجل فيما تختلف به عن المرأة ، ولما سئل النبي الكريم عليه الصلاة والسلام عن ماء الرجل وماء المرأة لم يقل هذا مني مثلا وهذا صفاق ، بل وصفهما بشيء ظاهري يختلفان به عن بعضهما. وأما ماسماه الناس فهو مقتصر على ظاهر من القول والعبرة هي في كلام الله.

وماء الإنسان أو المني تكون منه النطاف التي كما قلنا سابقا هي التي نتجت أو نطفت من سلسلة من الاصطفاءات أو من الماء بعد دورته في الجسم إلى أن استقرت في المكان المخصص والمهيأ ، وأما تسميتهم كذلك لماء الرجل بالنطاف وماء المرأة بالبيوض فهو اصطلاح ناتج عن ترجمة أن يكون ماء

الرجل ذا وحدات حجم صغيرة ولها مثل ذيل صغير ، وماء المرأة ذا وحدات أكبر ، ويبقى مجرد اصطلاح نظري ولايكون الاصطلاح بحجة وإنما الحجة هي في تفهم لغة القرآن العظيم ومايقابله من بحث علمي. فالقرآن الكريم لم يقتصره الله سبحانه على معان ضيقة أو زمن معين ولكنه تعالى أراد به معاني واسعة وعظيمة تتكشف شيئا فشيئا عبر الزمن في دقة متناهية. ولنكمل الآية الآن: فبعد أن ذكر الله الماء الدافق قال: «يخرج من بين الصلب والترائب»[1] ، ولعل من هذه الآية الكريمة يتبين لنا ضآلة تفسير الناس لها أمام المعنى العظيم المراد منها ، حيث فيما قالوه أن الصلب هو ظهر الرجل والترائب هي ماشمل الثديين وماتحتهما عند المرأة أو منطقة الصدر ومثل ذلك ، كأن المرأة ليس فيها صلب إطلاقا أو ليس للرجل شيء من الترائب هذه ، وسمحوا لأنفسهم تجاوز الاختلاف اللغوي الظاهر بين ماهو جمع وما هو مفرد ، فكلمة صلب مفرد تدل على معنى متصل واحد ، أما كلمة ترائب: فهي تعبر عن مجموع وليس بمفرد ، ومفردها تريبة ، وهي ماعنى بها اللغويون اصطلاحا مبينا بالصدر عند تساوي رؤوس العظام ، كمثال يدل على معنى أصل التريب ، فكلمة ترب تعني لصق ، وأترب: كثر ، فبذلك التفسير جعلوا المفرد والجمع بتقابل واحد متساو ، فأعطو هذا للرجل وهذا للمرأة كذلك حتى يوافقوا مخيلتهم فأحدثوا فرقا في الآية ومعنى منقطعا ، فكلمة «من بين» في الآية تدل على مكان واحد، وهم جعلوه لشيئين مستقلين تماما عن بعضهما ، الرجل والمرأة اللذين لكل واحد منهما كيان ، لأنك تقول مثلا: خرج نبع أو ماء من بين حجرين أو شجرتين ، فإذا كان الحجر بعيدا عن الآخر أو الأشجار متباعدة فلا يقال: خرج من

---

١ سورة الطارق.

بينهما وإنما يقال سرى بقرب أو جانب هذا أو ذاك ، وحري بكل من لم يصل إلى المعنى الدقيق والواسع والأجمل أن يرجع الأمر إلى الله وإلى أن هناك معنى مرادا سيظهره الله في وقت وزمان حسبما يشاء سبحانه وقد أذن الله بهذا الوقت ، والدليل أمامكم.

٤. هل عرفت سنة الله حقا ؟..

ربما يقول قائل أين ذكر الرجل والمرأة في عملية التكاثر والفارق بينهما ، وهل ما كتبه المفسرون حول هذا كان خطأ ؟ والله ذكر الرجل والمرأة فقال: «ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا»[١] ، والجواب أنه: صحيح أن الله العزيز قال: من ذكر وأنثى ، وقال في آية أخرى: «ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون»[٢] ، وقال أيضا: «وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعل منه نسبا وصهرا»[٣] ، وما يشابه هذا ليدل الله به على سنة من السنن جعلها وأرادها بين الناس عامة ، وأمرهم بها وحض عليها وقال: «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة»[٤] ، وما يأتي عن ذلك من شكل للتكاثر معروف ومطلوب، وسنة الله وقانونه لامبدل لها ولامغير ولايستطيع أحد أن يخرج عن سنة الله تعالى لذا قال تعالى: «ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا»[٥] ، وإن كل ماوصلوا إليه من اكتشافات وحقائق كلها من ضمن سنن الله تعالى ، التي

---

١ سورة الحجرات ٤٩ ــ آية ١٣.

٢ سورة الذاريات ٥١ ــ آية ٤٩.

٣ سورة الفرقان ٢٥ ــ آية ٥٤.

٤ سورة الروم ٣٠ ــ آية ٢١.

٥ سورة فاطر ٣٥ ــ آية ٤٣.

لاتزال تظهر وتثبت حتى يأتي الأجل المعلوم أو اليوم الآخر ، ومـــاذهب إليـــه المفسرون حول مايكون من الرجل والمرأة ، وما عن ذلك من إلقاح وحمل هـو معروف وصحيح طبعا ، ولكن هل قال لهم الله تعالى خلقناكم من ذكر وأنثى وكفى مثلا ، وهل قال لهم في آية «ومن كل شيء خلقنا زوجين» إن أصـــل كل شيء لابد أن يكون زوجين اثنين ، ومن الذي قال لهم أن سنة الله تعـــالى هي هذا فقط الذي قالوه وعاينوه وأنه عند هذا حدها ، ألم يفتشوا عن ســـنن أخرى ؟. سيأتيهم الرد بعد قليل. وأولا نشير إلى ذاك المعنى العظيم الكـــامل المراد من الآية الكريمة: «يخرج من بين الصلب والترائب»[1] ، إنه ذاك الـــذي ذكرناه من دارات وتيار في الجسم فيقوم بدورة اصطفاء يخرج منها ماء مـــهيأ حصين وبيان هذا:

٥. دقة الكتاب ولا حياد..

أن كلمة الصلب تشير إلى كل صلب موجود في الإنسان ، وهـــو قســـم متصل بعضه ببعض كمادة واحدة لذلك لم يقل أصلاب ، ولاتعني الظـــهر أو قسم منه ، ثم تأتي الترائب لتدل على أدنى تربية متصلة بهذا العظم حتى أبعدهـــا وعند كل طبقة من هذه الطبقات الخلوية يوجد تيار يعمل فهو في أي مكـــان منه يكون بين صلب وتربية إلى أن تجتمع في النهاية تيارا صافيا من بين كـــل هذه الترائب والصلب ، وقد اصطفى من كل مكان ماقدر له من أشكال نهائية للخلايا والرسائل الوراثية فيها ، ليصير باسم النطاف ، فقال تعالى في مكـــان آخر: «ألم يكن نطفة من مني يمنى» ، ولايظنن إنسان أو لغوي أن معنى يخـــرج في الآية أنه لحظة خروجه من بين الصلب والترائب يخرج دافقا فلو كان هـــذا

---

١ سورة الطارق.

هو المراد لسبقت كلمة يخرج كلمة ماء دافق، ولكانت يخرج ماء دافقا من بين الصلب والترائب، ولكن الله سبحانه ماأراد هذا فقال: ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب، ليدل على مسلكه وليس على طريقة خروجه النهائية والمعروفة. ونقول الآن: إن الله ذكر في هذا القرآن العظيم أن ذاك الماء الصلبي في صفته النهائية المعبر عنها بالنطاف هو بداية هذا الإنسان بعد أن ذكر التراب فقال: «ياأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة..»[1]، وقال: «خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا»[2]، ليدل أن من هذا التراب الموجود أمامنا ومن هذه المادة المتوارثة يكون خلق وتكوين الإنسان، وليبرهن بها على الخلق الأول أو السنة الأولى التي بدأ بها الله تعالى الناس، وهي خلق آدم أبي البشر عليه السلام، الذي كونه الله من التراب، وكذلك استمرار هذه السنة بالشكل العام عبر الزمان من طريق الطعام الذي أصله التراب، ثم على تأكيد إعادتها في آخر الزمان عندما ينشئنا الله مرة أخرى من هذا التراب بعد أن صرنا إليه، ولهذا قال ربنا بعد ذكر الماء الدافق في شكل جواب ونتيجة: «إنه على رجعه لقادر»[3]، طبعا لايقصد بهذا الماء الذي خرج أنه يعود من حيث خرج، فإن سنة الله هنا أن هذا الماء عندما يخرج لايعود للجسم، فإن عاد كان به ضرر، فالمقصود إذا أن هذا الإنسان بعد أن يصير إلى التراب وإلى الماء الذي يتركه ليورثه لغيره فإن الله تعالى قادر على رجعه، أي مايكون من تراب ونطاف إلى أصله الذي كان، أي كل إنسان يجمع كما كان ويخرج كما يخرج النبات من الأرض، في ذاك اليوم الكبير

---

١ سورة الحج ٢٢ ــ الآية ٥.

٢ سورة الكهف ١٨ ــ آية ٣٧.

٣ سورة الكهف ١٨ ــ آية ٣٧.

الخالد الذي يطلع الله به على السرائر التي كانت تختبئ وراء الوجوه، وهي رجعة كما ذكرنا أهون على الله من البداية.

وهناك الملاحظة المهمة في الآيات وهي: أن الله سبحانه ذكر النطاف وذكر المني ولكنه لم يحدد أهي من الرجل أم من المرأة أم منهما معا، وكما ذكرنا ووضح لنا أن هذه الكلمات تنطبق على ماء الرجل وعلى ماء المرأة، فما هو المقصود من عدم التحديد وما بيان سنة الله؟؟

٦. بروز القانون..

نقول: إن الله تعالى حدد أمرين هامين تدور عليهما باقي السنن، الأول: لقد قال تعالى في موضع من كتابه: «إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج»[1]، والثاني: في قوله تعالى «هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء»[2].

يدل الأول على حقيقة علمية وأمر هام، وهو أن النطفة لابد لها من أخلاط تداخلها وليست تصف بجانبها لكي يبدأ التكوين والخلق وسمى هذه الأخلاط أمشاجا لتدل علي أنها هزتها وكأنها تمتلك قوة ما، أي أن هذه النطفة أصبحت بهذا الاختلاط مختلجة متهيجة، وهذا هو المهم للنطفة، وليس كونها من الرجل أو الأنثى أو كليهما معا، فالمهم أن تمتلك هذه القوة وهذا المشاج.

وهذا ما أثبته العلم مؤخرا للخلية الوراثية في قضية طفل الأنابيب وماسمي بالاستنساخ الجيني كما جرى في القرود وأخيرا ماسموه الاستنساخ في النعاج.. فهذا الاختلاط والقوة أو هذا المشاج يحصل للنطفة عن طريق مانسميه بالنكاح الشرعي المعروف وهو السنة المطلوبة وليس من داع لإثباتها في الآية لأنها

---

١ سورة الإنسان٧٦ ــ آية ٥.

٢ سورة آل عمران ٣ ــ آية ٦.

مطلوبة وقد تفردت بها بعض الايات في مواضع أخرى، وأمـــا هنـــا فكـــل الاحتمالات موجودة أن تكون النطفة من الأب أو من الأم أو من كليهما معا، فهي سيان عند الله والأمر في ذلك يرجع إليه تعالى وحده.

٧. من يحـدد ذكرا أم أنثى..

والذين قالوا: إن الرجل هو الذي ينقل وحدة مورثة الذكورة، أو الذيـــن قالوا: إن المرأة هي المسؤولة عن الأولاد ذكورا أم إناثا، وماجاؤوا به اليوم من مشاهدات في تجاربهم أنه عند الذكر مورثة يختلف بها عن الأنثى وهي شفع من مورثاته في نهاية سلسلة الشيفرة عنده أطول قليلا ومعقوفة فقالوا :إنهـــا هـــي مورثة الذكورة فهذا يبقى احتمالا نظريا لايرقى إلى اليقين ويفتقر إلى تجـــارب أكثر وأكثر من التدقيق ولكنه يقبل كاحتمال ممكن، وليس كدليل أو حجـة، وهناك دليل غير وحيد على أن المرأة يمكن أن يأتي منها مورثة ذكورة أيضـــا، فقد ثبت علميا بشكل قاطع أن المرأة فيها ما يسمى بهرمونـــات ذكريـــة إلى جانب الهرمونات الأنثوية كما أن للرجل أيضا هرمونات أنثوية بجانب الذكرية وحسب نسب هذه الهرمونات تكون معالم الشخص، وقد شوهد مثلا إنـــاث لهم لحية وشارب تحلقها كما تحلق الرجال.

أما الحد الثاني الذي تتعلق به السنن أيضا المذكور في الآية هو ليدل بـه الله على شرطية الأرحام وضرورتها لتكون الحصن والبيت الرحيم الذي يصنع فيـه المولود حتى يتم خلقه من قبل الخالق الصانع رب العالمين بعد أن صنع سبحانه وبرحمته المخلوق الأول آدم بيديه تعالى.

٨. الرحم والمرأة..

ومن هنا أتى أصل كلمة الرحم، ولذلك كانت الإشارة إلى التوصية بالأمهات، قال تعالى: «حملته أمه وهنا على وهن»[١]، وماشأن ماسمعنا عنه بطفل الأنابيب إلا إشارة أكبر لضرورة الأرحام، فحقيقة هذه الأنابيب ليست لترعى الجنين لكنها لتنشط عملية الانقسام الخلوي للنطاف بطريقة معينة بعد أن عجز أحد الأبوين عن هذا ،ثم تعاد البيضة بعد أن أجري عليها انقسام بزمن قصير جدا إلى رحم المرأة، وهذا لهو برهان على شرطية الأرحام، وكذلك الأمر ماسموه بالاستنساخ يدل على هذا أيضا.. وحري بالمرأة أن تفهم من هذا التكوين الذي خصها الله به ومايختلج فيها من عاطفة وميلها دائما إلى الاستقرار من كل ذلك أن تعي بأن الله تبارك وتعالى لم يأمرها بشيء إلا وفيه سعادتها الحقيقية، والله العظيم قد خصها بوظيفة عظيمة تقوم عليها حضارة المجتمعات وهي إحاطة الجيل بحنانها وحبها ورعايتها، فهذا الارتباط الوثيق بينها وبين جنينها ومولودها هو إشعار لها بهذا العمل الذي من شأنه أن يتضاءل أمامه عندها أي عمل آخر وإن أسرتها هي المشعر لها بسعادتها وعلى الزوج أن يربط رعايته هو لأولاده بأمهم، فلكل دوره الذي عليه أن يؤديه تجاه هذا الجيل، والمرأة كلما كانت متعلمة ومتفهمة عملها هذا ودورها أكثر من قبل كلما كان مقامها أعظم وسعادتها أكبر. وقد حفظ الله تعالى للأبوين دورهما هذا وحقهما حتى آخر حياتهما، فقال: «ووصينا الإنسان بوالديه حسنا»[٢]، «إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلاتقل لهما أف

---

١ سورة لقمان ٣١ ــ آية ١٤.

٢ سورة العنكبوت ٢٩ ــ آية ٨.

ولاتنهرهما، وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا»[1].

إذا هذان هما الأمران اللذان تدور عليهما سنن الله في خلقه المكرم، واللذان هما باختصار: النطفة المهيأة والرحم. فالله تعالى «أحاط بكل شيء علما»[2]، «وأحصى كل شيء عددا»[3].

ـ التحدي والمستقبل:

ونذكر الآن السبق الكبير الذي تبدى في هذا الزمان بعد تكشف هذه المعاني من كتاب الله الكريم، ولنعيد إلى الأذهان مما ذكرناه سابقا بعض العناوين لتكون الدليل والبرهان المقدم لهذا التحدي.

هذه العناوين هي ضمن هذه الآيات:

قال الله عز وجل: «فإذا سويته ونفخت فيه من روحي»[4]، «الذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا»[5]، «فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة»[6]، «أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين»[7]، «وننشئكم فيما لاتعلمون»[8].

---

١ سورة الإسراء ١٧ ـ آية ٢٣ ـ ٢٤.
٢ الطلاق ٦٥ ـ آية ١٢.
٣ الجن ٧٢ ـ آية ٢٨.
٤ سورة طه ٣٨ ـ آية ٧٢.
٥ سورة الكهف ١٨ ـ آية ٣٧.
٦ سورة الحج ٢٢ ـ آية ٧٧.
٧ سورة يس ٣٦ ـ آية ٧٧.
٨ سورة الواقعة ٥٦ ـ آية ٦١.

فإذا تفهمنا ماسبق علمنا سنة قد كانت وستكون حدا فاصلا لما يكون ، وما وصلوا إليه هو شيء بسيط أمامها يستحري لها ماسيكون ، وإليك بيان هذا:

علمنا أن السنة الجارية والمطلوبة بين البشر هي الزواج والتناسل ، وهناك سنن مرتبطة أشبه بالشيء الخاص من العام فمثل هذا الشيء الذي هو من أحدث ماتوصلوا إليه وماهو إلا تأكيد لأمر الله في كتابه الكريم كما تبين ، وكذلك خلق آدم عليه السلام هو من هذا الخاص ، ولكن هناك بيان آخر وسنة مرتبطة لم يتعرف إليها البشر وقد كانت في أعينهم ، واقترب العلم والزمان ليقرب مثلها وتكون ، وقد تختلف بشكل ظاهري قليل ، وهي أمر قد أكده القرآن ودل عليه وهو السبق الذي ذكرنا ، ولن يطول تكرارها ، فمن ذا الذي يوافقه حظه بها ، وهي طبعا بإذن من الله وفي الوقت الذي يجعله سبحانه ، نذكرها هنا بالقول: مما سبق شرحه ومن هذه العناوين التي تضمنتها الآيلت الآنفة الذكر نرى أن الله بين أساس عملية التكاثر كلها وماتدور عليه كل السنن المفردة ، ونقصد بالمفردة أي ليست الرتيبة المتكررة ، والتي تخص حدثا ما أو لحدث ما وقد ذكرنا أمثلة عنها ، والأساس هو وجود النطفة المهيأة والطاقة اللازمة للانقسام ، لهذا ولأجل مايمكن أن يكون من سنن مفردة لم يعتبر الله تعالى الأخلاط التي تدخل النطفة أكانت من الأب أو من الأم حيث قال: «من نطفة أمشاج» أي أخلاط دون تحديد للمصدر فربما تكون النطفة والأخلاط من طرف واحد ، بحيث تؤخذ من الأب نفسه مثلا ويجري عليها الطاقة اللازمة للانقسام والتضاعف ، ثم تزرع في رحم المرأة ، وهي مثل الذي أتوا على تسميته بالاستنساخ لكنها تزيد عليه أنها من مصدر واحد وأكثر

دقة ، أو تكون النطفة والأخلاط معا من الأم نفسها فتنتزع منها وتعطى طاقة للانقسام ثم تعاد إلى رحمها ، إذا هذا هو الأمر والسبق الذي كشفه الله في هذا العصر من كتابه المعجز الذي نـــزل في زمن بعيد ، بعد أن ظهر مـــن العلـــم ماظهر كما تقدم من بيان وإثبات وبرهان ، فهل وجدتم لمن يكـــون الســـبق وفصل الحق؟ لقد بين الله الخالق العظيم الخبير بالإنسان وبالكون الذي حوله ، والعالم بما يصلحه ، بين من كتابه الكريم أمر هذا الذي وصلوا إليه آخر الزمان مما سموه استنساخا أو طفل أنابيب أو غيره ، وليس فقط مجرد ذكر لذلك بـــل أتى فوق هذا مصححا ، ومحددا الصواب ، فها هي قضية الاستنســـاخ بينـــها وحدد فيها الصواب من الخطأ ، وما يجب فعله ومدى لياقة هذه التســـمية ، وفوق هذا أيضا فيه بيان لشيء لم يصلوا له بعد مع إثبات إمكانيـــة حدوثـــه وتقدمه الكبير ، أليس هذا من شأنه أن يجعل في أنفسنا اليقين العظيـــم بـــالله وكتابه الكريم ودافعا لمن ليس بمؤمن أن يصدق بالله رب العالمين الخالق وقرآنـــه الخالد.

هذه السنة الإفرادية التي قلنا عنها هي أمر ممكن الحدوث ، وهو متعلـــق بترتيب وتوقيت من الله ، ولكنها أمر قد جرى لمرة واحدة عبر تاريخ الإنسانية وكثيرا ماأبهر العقول على مدى السنين وظنه كثير من الناس معجـــزة كبـــيرة وظنه باقي الناس حدثا من خارج الطبيعة.

١. كشف الستار.

ولقد أتى البيان الإلهي الذي ظهر في هذا الزمان ليزيح الستار عن هـــذه الغمة لينكشف الأمر كله بالعلم ، فكثيرا ماتقاتل الناس وراءها ، بحيث لايـــدع مجالا للشك ولايبقى لأحد من حجة. فلقد جاءت حادثة ظهور النبي الكـــريم

عيسى المسيح عليه السلام وولادته التي كانت من طرف واحد من أمه مريم العذراء وماكان له من معجزات وكلامه في المهد، فمن الناس من آمن وصدق واعتبر هذه الولادة معجزة خارقة ومنهم من كفر به وأراد قتله عليه السلام وصلبه، ولم يستطع وهم اليهود، ومنهم ممن رأى ماكان من المسيح، فعوضا من أن ينسب الفعل لقدرة الله تعالى نسب المسيح كله لله وادعي بأنه ابن الله سبحانه وتعالى وتوجه للمسيح وأمه بالعبادة من دون الله العظيم جهلا بالطبيعة وأسرارها وجهلا بالله وقدرته على كل شيء، إلى أن جاء القرآن الكريم وجاء هذا الزمان ليكشف سرا من أسرار الكتاب، وقد خاطبهم القرآن أولا عن طريق العقل فقال على لسان عيسى وهو في المهد لما أشارت إليه أمه عندما اتهمها قومها بالدنية: «فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا، قال إني عبد الله»[1]، وقال أيضا: «ماالمسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات»[2]، وجاء هذا الزمان ليزيح الجهل والظلمات ويثبت بطريق العلم وكل الكشوفات ويقول لكل الناس: إن هذا القرآن هو الحق، وإن عيسى المسيح ليس أسطورة وهو سر من أسرار هذه الطبيعة وهذا الكون الواسع فيما أودعه الله من أسرار، وقد كشف العلم طريقه وأقيمت التجارب وأعلنوا النتائج واتصل الطريق بعضه ببعض، فأعلن العلم أنه يمكن أن يتكون الجنين بغير هذا الإلقاح العادي ويمكن أن تكون النواة المنزوعة من خلية امرأة كما تكون من رجل.

---

١ سورة مريم ١٩ ــ آية ٢٩.

٢ سورة المائدة ٥ ــ آية ٧٥.

٢. قدرة الله وطهارة العذراء..

لذلك كان الأمر طبيعيا أي لم يكن خرقا للطبيعة وإنما خرقا للعادات ، وأن مريم العذراء الطاهرة لم تلد بهذا الإلقاح العادي ، وهي ليست وابنها ربا من دون الله ، وجاء القرآن ليؤكد الكشوفات ويهذب الطريق ويبعد العثرات و يبين السر ، وأعلن عن آخر الطريق بسبق عجيب ودقة متناهية ، وكان المثال هو عيسى عليه السلام ، قال الله تعالى: «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون»[١] ، نلاحظ من خلال كتاب الله أن الله لم يقل عن عيسى أنه معجزة خارقة ولافي أي موضع من الكتاب ، ذلك ليدل اليوم أنه سر من أسرار الطبيعة ، يظهر قدرة الله تعالى بأسلوب علمي متفوق في زمن يغلب عليه الجهل والظلم ، فكان آية من آيات الله للأولين والآخرين ، قال تعالى: «فحملته فانبتذب به مكانا قصيا ، فجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا ، وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا»[٢] ، وقد بينا مثال عيسى عليه السلام فيما قلنا عنه بالسنة الإفرادية وشرحناه قبل قليل ، ولكن الله سبحانه وتعالى في عيسى اختصر فقط زمن الولادة فجعله في لحظات رأفة بالأم العظيمة وتطهير لها وأمانا ، وكذلك جعل الطاقة اللازمة لعمليات الانقسام والتضاعف التي يتكون بها الجنين ويكتمل من عنده تعالى لعدم وجود من يتفهم في ذاك الزمان مثل هذا الحدث الباهر ووجود من يقدم مثل تلك الطاقة بالأسلوب العلمي المتطور الذي يستطيع فصل النواة عن الخلية ، ولأن الأم طاهرة مطهرة قال الله

---

١ سورة آل عمران ٣ ــ آية ٥٩.

٢ سورة مريم ١٩ ــ آية ٢٢ ــ ٢٦.

تعالى: «وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين»، وقد كانت تلك الطاقة هي من الروح التي دخلت لتكون الجنين والتي نفحها الله سبحانه وتعالى من روحه كما يعطي الله الروح لكل إنسان والتي حملها ملك كريم، وبيان هذه الطاقة جاء في معنى الفرق بين آيتين وهما قوله تعالى عن مريم الطاهرة: «والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا»، وقال في الأخرى: «ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه»، والفرق أن في الأولى ذكر تعالى «فنفخنا فيها» أما الثانية فقال «فنفخنا فيه» طبعا اللفظان باختلافهما أعطيا معنى مميزا بينهما، فدل في الأولى على دخول النفخة الحاملة للروح في الأم العذراء فيها جميعا، فبهذا عملت هذه الروح عمل الاصطفاء من جسدها الطاهر وأعطت أيضا الطاقة اللازمة لانقسامات وتضاعفات النطفة أو البيضة فيها، وهذا الانقسام الذي تزامن مع ذاك الاصطفاء ماكان ليكون لولا أن هذه الروح نفسها التي دخلت باشتمالها لجميع الجسد قد مرت إلى هذه البيضة من أقرب مكان مباشر لها وهو الفرج، لذا قال في الثانية «فنفخنا فيه»، وبهذه الطاقة وهذا الاصطفاء أخذ الجنين شكله في رحمها واكتمل حتى استقرت الروح الداخلة إلى الجسد في الرحم، وامتزجت في هذا الجنين الذي اكتمل، أي أن النفخة استقرت في هذا المخلوق الجديد وهو المطلوب، وبهذا استغرق خلق عيسى عليه السلام إلى أن أصبح طفلا كاملا فقط، الفترة مابين بدء دخول الروح في جسد الأم حتى استقرارها في الرحم، لذلك قال الله بعد استغراب مريم من النبأ: «قالت أنى

يكون لي غلام و لم يمسسني بشر و لم أك بغيا ، قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا»[1]. وفي اللفظان المذكوران معا «فنفخنا فيه» ، و«فنفخنا فيها» نجد أيضا إبعاد أي شبهة يمكن أن تتسلل إلى نفوس بعض الضعفاء بأن الملك المرسل والذي اتخذ هيئة بشر هو السبب في ذلك الانقسام وتلك الولادة ، فأتى اختلاف اللفظ هذا ليفصل الموضوع ، وأن الروح المرسلة من نفخة الله عز وجل وحدها هي السبب ، وكذلك إن من حمل هذه النفخة هو الروح الأمين حيث قال تعالى: «فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا»[2] ، وهو الأمين على كل الرسالات المرسلة. إنك لتجد الدقة المتناهية والحكمة تملآن هذا الكتاب العجيب القرآن الكريم ، ولقد بين الله سبحانه وتعالى للناس أمر عيسى المسيح عليه السلام في طريق آخر أسهل بكثير ، عن طريق تذكيرهم بقدرته تعالى على كل شيء وهو الخالق لكل شيء وليس محتاجا لشيء ، قال تعالى: «قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له مافي السموات ومافي الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله مالا تعلمون ، قل إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون ، متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون»[3]. وذكر مثالا لعيسى عليه السلام مقربا للأذهان.

٣. المثل الكبير والسير..

هو مخلوق أول بدأ به الله الخلق وهو آدم عليه السلام الذي ذكر الله خلقه في القرآن ، فهو أيضا ليس بخرق للطبيعة؛ وإنما سنة إفرادية من بين السنن أو

---

١ سورة مريم ١٩ ــ آية ٢ ــ ١٢.

٢ سورة مريم ١٩ ــ آية ١٧.

٣ سورة يونس ١٠ ــ الآية ٦٨ ــ ٦٩ ــ ٧٠.

حالة خاصة من الحالة العامة التي يجري عليها الخلق ، فإن بدء أي خلق هو من تراب ثم يختلف كل خلق عن الآخر ، وهذا المقصود عندما قال الله للنـــاس: «قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الأخرة»[1] ، فجاء مثال عيسى شاملا ووافيا فقال سبحانه: «إن مثل عيسى عند الله كمثـل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون»[2] ، وقد قال لهم عيسى عليه السلام في حياته مرارا وتكرارا: «وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم»[3] ، وقال المسيح: «يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقـــد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار»[4] ، وكذلـــك هـــذه القدرة الإلهية التي خلقت عيسى عليه السلام بتلك السهولة والسرعة قـــادرة وبكل سهولة أن تنجيه عندما أراد هؤلاء بنو إسرائيل أن يقتلوه فقال تعـــالى: «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم بل رفعه الله إليه»[5] ، وقد أبقى الله علـى حياة المسيح بعد أن رفعه لينـــزل ثانية إلى الناس ، فيكون تثبيتا لدعوى القرآن الكريم وتكذيبا لمن بقي من الناس على جهله ودعوته في أن عيسى الرسول هو رب أو إله أو أنه قد صلب أو غير ذلك ، فيقوم بتكذيبهم بنفسه ، لذلك يقول تبارك وتعالى: «وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمن به قبل موته»[6] ، فهو لايمـــوت إلا بعد أن ينـــزله الله من السماء ويؤدي مهمته هذه.

---

١ سورة العنكبوت ٢٩ ــ آية ٢٠.

٢ سورة آل عمران ٣ ــ آية ٥٩.

٣ سورة مريم ١٩ ــ آية ٣٦.

٤ سورة المائدة ٥ ــ آية ٧٢.

٥ سورة النساء ٤ ــ آية ١٥٧.

٦ سورة النساء ٤ ــ آية ١٥٩.

٤. القيامة أيهما أقرب..

وذاك الوقت يكون قريبا من الآخرة أو يوم القيامة، ولكن ليس قيامة المسيح كما يقول بعض الناس، ويعنون بها خروجه من الأرض أو إحياءه ثانية مثل إحياء الناس من قبورهم بعد ظنهم أنه قتل وصلب، وإنما هو يوم الحق كما سماه الله تنتهي فيه حياة الدنيا وتوضع موازين الحق والصدق، لذلك يقول تعالى: «واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين ظلموا»[1].

٥. من يبلغ..

إني لأقول للناس ولجميع العلماء والباحثين: اعملوا ما شئتم في قضية الاستنساخ هذه وأقيموا التجارب وأقعدوها وأنصح أن تبتعدوا عن الأخطاء التي ذكرناها والتي يأتي منها الكم الهائل من الفشل الذريع، وابتعدوا عن الأوهام، فكل هذا وما سوف تصلون إليه دليل وبرهان على صدق القرآن الكريم وسبقه العجيب، وأن تجربوا أيضا ماأوصلكم هذا الكتاب إليه والذي لم تجربوه بعد، وهو أن تكون التجربة من مصدر واحد ويفضل أن يكون أنثى، حتى لايلزم نقل الخلية المجربة إلى غير مصدر، وإذا اتبعتم الطريق السليم والدقة المطلوبة فيمكن تحقيق النجاح، وهذا النجاح سيكون تحقيقا لأقصى غايات أو طريق العلم في هذا المجال، لكنه سيكون أيضا إذنا وإيذانا لوقت يخرج أو يخلق فيه مثل الذي يمكن أن تتوصلوا إليه، فيخلق الله بهذا مخلوقا من طرف واحد، وقد سمى النبي الكريم عليه الصلاة والسلام الرجل بالدجال، فإن قصة مولده هذه ستكون أشبه ماتكون بقصة مولد عيسى عليه السلام، وسوف يدعي هذا الرجل أنه المسيح وفوق هذا، بسبب اعتقاد بعض الناس بأن المسيح

---

١ سورة الأنبياء ٢١ ــ آية ٩٧.

هو رب سوف يدعي لنفسه الربوبية وأنه إله، وإمعاناً في ضلالة مثل هـــؤلاء الناس سوف يجري الله على يدي هذا المخلوق الكذاب بعض خوارق للطبيعة، ويصبح هذا الرجل نفسه امتحاناً كبيراً للناس ينجح فيه من ينجح ويسقط مـن يسقط، فيسقط ويذلّ كلّ من دخل إلى قلبه المرض والكفر، وينجو كل مـــن عرف الله الخالق العظيم ورجع إليه وتاب من ذنبه.

ولكن لينتبه الناس ولايظن بعضهم ويلتبس عليه بأن ظهور مثل هذا الرجل تصديق لما سموه بقيامة المسيح أو خروجه ثانية.

ثم بعد خروج هذا الدجال وهذا الامتحان ينـــزل المسيح عيســـى عليـــه السلام بأمر الله من السماء، ويقتل هذا الدجال ويقوم بالمهمة التي يكلفـــه الله بها في نصر التوحيد.

- يوم لا مفر منه :

ومن الجدير أن نذكر ماتوصل إليه بعض الباحثين في أجزاء وخلايا الجثث الميتة والعظام البالية ومن بين التراب إلى وجود أجزاء خلوية تدل على مكونات شبيهة بالجزيء الوراثي المسؤول الـــ DNA، وظنوا بإمكانية ترميمـــها بمثـــل ماترمم الجزيئات عند خلايا الإنسان عندما يشيخ ويتقدم في العمـــر ، حـــيث وجدوا أن شريط المورثات الحامل للـــ DNA عند الشيوخ ناقصةٌ أطرافـــه أو متآكل، واكتشفوا أن لدى الإنسان أنـــزيمات تساعد على ترميم وإكمال هذا الشريط، وهذا فيه دلالة من قوله تعالى على لسان سيدنا زكريا عليه الســـلام وهو يناجي ربه: «قال ربي أنّى يكون لي غلام، وكانت امرأتي عـــاقراً وقـــد بلغت من الكبر عتيا، قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل

و لم تك شيئا»[1] ، وكذلك قوله تعالى على لسان امرأة إبراهيم: «قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا»[2].

نقول لهؤلاء ونقول للناس أن يستمعوا إلينا: إن هذا التنقيب والبحث المرهق لابأس به لأنه أوصلكم لتروا بأعينكم بدء الخلق وأصله وهو التراب ، وأن التراب نفسه الذي يحتوي على العناصر الدالة على بدء التكوين يحتوي أيضا على أشياء تدل على كل من يدخله ويفنى فيه ، أما مايقوله لكم خيللكم العلمي هذا إنه يمكنكم ترميم هذه الأجزاء بمعنى آخر إعادتها لنشاطها أي حيويتها من أجل نسخ مورثاتها فهذا يبقى في الخيال ، ولاطائل منه إلا هدرا للطاقات ، لأنه ليس من اختصاصكم وقد عرفتم كيف وقف العلم عاجزا أمام إيجاد خلية حية من عناصرها الأولية أي من التراب ، فهذا الأمر ومثله هو من اختصاص واهب الحياة ، وهو الله سبحانه وتعالى رب العالمين ، وحتى نبسط لكم الدليل نقول: حتى لو أتيتم بأنزيمات حية وعثرتم عليها من إنسان حي ما وأضفتموها إلى تلك العناصر الترابية التي تريدون ترميمها ؟ ولنفترض أن التراب استجاب لكم ، ماذا ستقولون له: ماهي الأجزاء المفقودة التي عليه ترميمها ، ومن عليه جمعها حتى تقوم أنزيماتكم بعملها الجبار ؟!. ألا ترون معي أنكم تقحمون أنفسكم بأمر ليس من شأنكم ولا عملكم أبدا ؟ ولكن إن كان هناك من فائدة فهي أن ينقلب هذا إلى دليل قاطع عندكم على وجود محفوظات سرية لدى الأرض تدل على هوية كل إنسان وأن الذي وهبها الحياة أول مرة وهو واهب الحياة للأشياء كلها ومصير الأحوال ومخرج الطاقات وحده الذي له الأمر والشأن في ترميمها وبيده القدرة على إرجاعها ، وإن هذه

---

١ سورة مريم ١٩ ــ آية ٩.

٢ سورة هود ــ آية ٧٢.

المحفوظات السرية الخاصة هي أشبه شيء بمعلومات سرية تدخل في كمبيوتر أو حاسوب بشكل رموز وتخزن، وتكون جاهزة لتظهر كل شيء عند الطلب وتستجيب، يقول الله عز وجل: «وضرب لنا مثلا ونسي خلقه، قال من يحيي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم، الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون»[1]، ويقول سبحانه: «إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، وقال الإنسان مالها، يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها»[2].

ـ أسباب ونتائج:

إذا بعد هذا الكتاب وهذا البيان الإلهي الذي أضحى حجة بالغة لجميع الناس ليرفعوا بها رؤوسهم، وليرجعوا إلى الله ربهم وخالقهم، وليشهدوا له بالوحدانية فليس بعد هذا من حجة، وإذا أعرض الناس فلينتظروا عقاب الله الذي لايستطيع أحد في الكون أن يرده أبدا، ولايقولن الناس عن عذاب إذا أتاهم أنه ظاهرة طبيعية أو حدث غير مستقر أو يسموا أسماء عجيبة مثل النينو والنينا، وماأشبه هؤلاء بعبدة الأوثان الذين سموا ظواهر ترابية بأسماء لم ينزل الله بها من سلطان، فإن كل حدث وكل ظاهرة وكل عذاب وكارثة هو من عند الله تعالى وحده وبأمر منه ولادعوى للطبيعة بهذا، إن هي إلا مخلوق تنفذ ماأمر به الخالق.

وليرجع الناس إلى دين الحق، دين التوحيد الذي يجمع الأديان السماوية كلها تحت مظلة الحب لله تعالى، وهذا هو الذي سماه الله دين الإسلام،

---

١ سورة يس ٣٦ ـ آية ٧٨.

٢ سورة الزلزلة.

وليعلموا أن هذا الدين يجمع مافي الأديان كلها من خير فهو السبق والقـــوة. وماأصبح الذين يسمون أنفسهم مسلمين اليوم في ضعف وذل إلا لأنهم تركـوا تعاليم دينهم وهداية ربهم واتبعوا فساد الغير وخدعوا به ، وإن هذا الكتـــاب وهذا البيان من كتاب الله الكريم لهو أكبر دليل على حب الإســـلام للنـــاس جميعا، ولولا هذا لما اهتم الإسلام بإنسانية الإنسان أيا كان ودعوته لهذه النفس لأن ترقى وتعلو وتسبق وتكون حرة كريمة ، فلا يظلم أحد أحدا ، فهذا هـــو الحب وهذا هو السلام حقا.

ولتكف أمريكا وليكف الغرب عن عدائهم للإسلام فهو الديـــن الـــذي يحبهم ويحب سعادتهم ، وليكف اليهود بني إسرائيل عـــن إيذائـــهم للنـــاس وعداوتهم للإنسانية فمن أراد قتل المسيح عليه الصلاة والسلام وعادى النـــبي محمدا عليه الصلاة والسلام ،وأراد قتله ، لا يمكن أن يحب الخـــير لأحـــد ، ولايعرف الخير أيضا لنفسه ولا السعادة ، فليرجع بنـــو إســـرائيل إلى ديـــن التوحيد ، وليعيشوا حياة سعيدة مع الناس وليدخل الجميع الســـلام الحقيقـــي والعادل تحت مظلة السلام لله تعالى ودينه الحق ، ولتقف أمريكا موقفا صارمـــا وعادلا أمام أطماع اليهود ، لمصلحة اليهود أنفسهم ولمصلحتها ولمصلحة العالم كله ، وإن كل من يرفض فهو الظالم لنفسه وللناس وهو المعتدي ، ولنســـمع قول العزيز الجبار: «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»[1].

أيها الناس هل يستطيع أحد أن يمنع أمر الله وعقابه إذا جاء ، هل تســتطيع قوة في الأرض كلها أن تمنع زلزالا إذا حل أو إعصارا إذا نـــزل أو أي كارثـــة ما أو حتى أي مرض إذا أراد أن يحل بنا ؟ ، ولقد قال النـــبي عليـــه الصـــلاة

---

١ سورة الشعراء ٢٦ ــ آية ٢٢٧.

والسلام: «واعلم أن ماأصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك» ، يقول الله تعالى: «قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون»[1] ، «ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير»[2] ، «أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحا وهم يلعبون ، أفأمنوا مكر الله»[3] ، فمالنا نعلن الحرب على الله تعالى ونحن نسكن أرضه ونشرب ماءه ونأكل طعامه ونأخذ هواءه ، هل هناك مفر من الله تعالى وإلى أين؟. إن هذه الدنيا أيام معدودات يراك الله فيها ثم تلقاه ، فقال سبحانه: «ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لايشعرون»[4].

ومالنا نعادي بعضنا بعضا ، ويقتل بعضنا الآخر أمن أجل دنيا فانية وكلمة فاتنة وناصية كاذبة؟. أليس عندنا عقول! ألهذا خلقنا الله العظيم؟. أين السلام الذي أراده الله وأين التوحيد الذي رضيه الله؟ وكيف سنلقى الله عز وجل ؟ قال تعالى: «ولو أن الذين ظلموا مافي الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون»[5].

إنك إذا قلعت الدور وبنيت القصور وأسلت الدماء وشربت عليها القدور ثم أتى يومك الموعود ماذا لحق بك من كل هذا ، وماالذي ستجده ، لن تجد

---

١ سورة يونس ١١ ــ الآية ٥٠.

٢ سورة الملك ٦٧ ــ آية ١٦ ــ ١٧.

٣ سورة الأعراف ٧ ــ آية ٩٧ ــ ٩٩.

٤ سورة العنكبوت ٢٩ ــ آية ٥٣.

٥ سورة الزمر ٣٩ ــ آية ٤٧.

سوى خيبة املك وسوء عملك، ولا أحد تجده إلا الله أمـــامك والله ســـريع الحساب، قال تعالى: «أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعـــون، فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش العظيم»[1].

وحسن الختام من طرفي سورة كريمة من هذا القرآن العظيم السابق الحـــق إلى يوم الدين: «الحمد لله الذي أنـــزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا، قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا، ماكثين فيه أبدا، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا»..

«..فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربـــه أحدا».

ـ هل يبقى خلاف ؟

لنقل بعد أن تبين واتضح جليا الموضوع الذي تعلـــق بـــه مـــا أسمـــوه بالاستنساخ أن تحديد الحلال فيه وتبيين الحرام أصبح سهلا ويسيرا، وخصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن تحريم الزنى أكثر شيء بأنه: اســـتباحة للفـــرج، وللقدسية، بطريق غير مشروع، ورفض السكنى، والتنكر للنسل، وإذا نظرنا إلى من كبر سنه ولايمكن زواجه وهو راغب بالولد فهل سيحصل عليه. لذلك الحلال بين والحرام بين ومابينهما في هذا قد بيناه بفضل الله سبحانه وتعـــالى والحمد لله رب العالمين.

ـ ماذا عن زرع الأعضاء:

ثمة شيء نحب أن نضيفه هنا مما هدانا الله له سبحانه ومن خلال كتابـــه العزيز أيضا، عله يكون انطلاقة أو فاتحة وحجر أساس لثورة عصرية في مجـــال

---

١ سورة المؤمنون ٢٣ ــ آية ١١٥ ــ ١١٦.

زرع الأعضاء، ولعل الناس يذكرون بعد ذلك فضل الله العظيم عليهم، وفضل هذه الهداية الكريمة منه سبحانه، «إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون»[1].

وهي فاتحة لأنها طريقة تضمن سلامة الجسم وسلامة مكان الزرع وسلامة مايراد زرعه في أي ناحية من أنحاء الجسم الإنساني. وهو أمر لم يسبق إليه أحد بعد ،ونرجو أن يوفقنا الله تعالى لنكون نحن المسلمين العرب أول من سبق إليه، ولنضع حجر الأساس فيه للعالم كله. وسنوضح هذا العمل مع بعض التفصيل وبكثير من التبسط ليتناوله الجميع بالترحيب، ونترك إتمام العمل وإنجازه للمختصين ولما تحدده التجربة في ذلك..

إن في كل منا عضوا صغيرا طالما تساءل الناس ما الفائدة منه و لم يعثروا على جواب كاف، وكثير منهم عده زائدا، إنه الزائدة الدودية التي تتربع عند كرسي الجسد في جسم الإنسان، وهي امتداد على شكل مرتكز في الطرف الأسفل من معي الإنسان، لقد تبين بفضل هداية الله سبحانه أن هذا العضو تجتمع فيه من جميع أجزاء الجسم صفات بسيطة مشتركة لكل عضو من أعضاء الجسد على شكل مورثات أو ريبوزومات خلوية، بحيث يمكن أن يتعرف عليها ويقبلها أي عضو من أعضاء الجسد دون أي مضاعفات أو التهابات، كيف لا وهي تعتبر محصلة منه، وليس أدل على هذه الميزة مما كشفه بشكل مثبت أن هذه الدودية تنتج خلايا تصلح لتكون خلايا دفاعية في جميع أنحاء الجسم تماما كالخلايا البيضاء في الدم، ألا يدعو هذا للتأمل. وهذا العضو المسمى زائدة يقع أيضا في مستوى مقارب تماما من مستوى الصفاء الخلوي

---

١ البقرة ٢ ــ آية ٢٤٣.

الجنسي أو مايسمى الخلايا الجنسية مما يعزز لهذا العضو صفته المشتركة تلك ، ولنوضح قبل التفصيل أهمية هذا العضو والفائدة التي يمكن الحصول عليها منه بالشكل الهندسي التالي:

أ -- الجسم يحتاج لعضو وهو ممثل بإحداثيات جديدة من س.ع.ص يتطلب إرجاعها للبدائية أو الأصلية س.ع.ص.

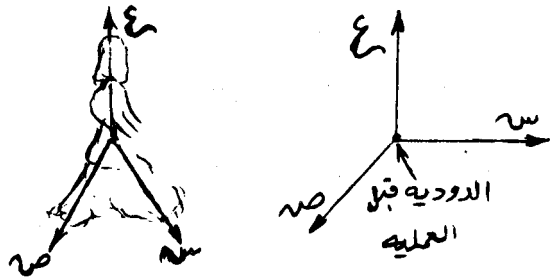

ب - الجسم بعدما جرى له الزرع بفضل الزائدة الدودية ممثل بإحداثيات مرجعة س.ع.ص

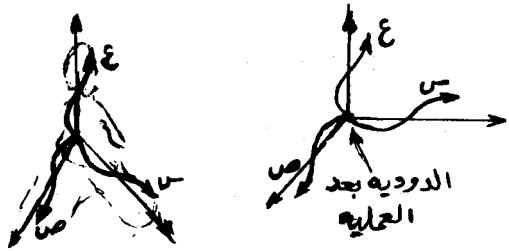

إذا أخذنا من هذا العضو الدودي خزعة صغيرة بأداة مجهرية أو بتوصيل إبرة دقيقة ، وهو عمل معروف لدى المختصين وسهل ، وأُخذت الخلايا التي حصل عليها منها ، ثم جيء بالعضو المراد زرعه الصالح الذي لم يحصل عليه الأذى ، وأتينا إلى الجزء المراد الزراعة فيه ، فتكون الخلايا الدودية هي صلة الوصل بين ذلك ، على غرار الشكل التالي:

١. تؤخذ من خلايا الدودية النواة وتزرع في خلايا العضو المراد زرعه عند المنطقة المعدة للوصل عوضاً عن نواتها ، تماماً كما يجري فيما سمّي بالاستنساخ ، لتبدأ هذه الخلايا الجديدة في مستوى الوصل بالتكاثر أو التناسخ.

٢. بالمقابل تؤخذ من المكان المراد الزرع فيه من خلاياه نواتها بنفس الطريقة وتزرع في خلايا من الدودية عوضا عن نواتها، وتجعل هذه الخلايا الجديدة في نفس مكان الزرع.

٣. تنشط الخلايا الجديدة في العضو المراد زرعه وفي مكان الزرع لتتكاثر لتشكل صلة الوصل المتوافقة بين الجزأين.

٤. بعد ذلك يتم وصل أو زرع العضو الجديد بالشكل المناسب في مكان الزرع من الجسد.

٥. الفحص المستمر والدوري للمريض لملاحظة ومتابعة الأمور.

وبالدراسة والتجربة الدقيقة يحدد كل أبعاد هذا الموضوع، ليكون بعدها فاتحة خير وبركة لكثير من الناس إن شاء الله تعالى. ومن الجميل أن نذكر أيضا أن لهذا العضو الدودي المسمى زائدة أهمية أخرى ربما ليست ظاهرة، وهي أنه يسهم إلى حد مفيد في ثبات وحركة الأمعاء لوضعه المتميز الارتكازي، وهي ميزة يمكن للأطباء الاستفادة منها قبل الأعمال الجراحية، أعتقد بعدما سبق أن اسم هذه الدودية لايناسبها زائدة.

أرجو من الله أن نوفق لتركيز ودعم حجر الأساس لهذا العمل الإنساني العالمي الهام، والحمد لله رب العالمين.

ومن الحقيقة والخير أن نذكر أن التبرع بالأعضاء السليمة للإنسان التي كانت له قبل أن يكون موته، إن ثبت أنه ينفع لغيره ويمكن أن تؤمن له حياة، إذا أوصى بها الإنسان ليستفيد منها الغير وخصوصا الأقارب عند مماته هو أمر محمود ومطلوب، وقد حث عليه كتاب الله وسنة رسوله، على غير

مايظن فئة من الناس بأن ذلك شيء لايملكه ولايحق له التصرف فيه أو التوصية به. ولذلك نقول: إن جسد الإنسان ليس فقط مثل النعم الأخرى قد استأمننا الله عليها وناظر ماذا نفعل بها، هو فوق هذا هبة من الله أرادنا أن نحافظ عليها ونحرص عليها ما استطعنا لتكون لنا ونعمل بها طوال حياتنا إلا إذا تقدم على ذلك منفعة أهم وحاجة أقوى كالجهاد في سبيل الله. أما بعد الممات فالجسد يخرج من دائرة ملكنا، ويفلت منا فإذا أوصينا به بما يعود للنفع لغيرنا واستفاد منه الأحياء من قبل أن يذهب للفناء والتراب، فتستفاد منه دابة الأرض والحشرات، أفإن كان قد شرع وطلب من الإنسان أن يقدم ماله ودمه وهو حي من أجل منفعة البلاد والناس، وشجع عليه، وعد ذلك مكرمة فهل يأبى ذلك ويبخل به وهو لايستفيد من ذلك بشيء بعد موته؟ كالذي وصفهم الله بقوله: «ويمنعون الماعون». يقول تعالى: «وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله»، وقال سبحانه: «مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا». ويقول سبحانه «إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين»، وهذا الذي يذره الإنسان بعد موته من جسده وأعضائه فيه خير لوقت محدود قصير كما أثبت ذلك العلم، ولذلك أيضا إن اعتناء الإنسان بجسده وأعضائه ليس فقط يكون له ويستفاد منه في حياته، بل يعتبر كالصدقة الجارية له باقية له بعد مماته، إن أراد بذلك وجه الله واستفاد منها الغير، فقد قال عليه الصلاة والسلام: (ينقطع عمل ابن آدم إلا من ثلاث... وذكر صدقة جارية)، وبالمقابل لاننسى قوله عليه الصلاة والسلام في تعجب: (أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله)[1]، فالذي ذكرناه هنا محبوب على أن يضع الواحد منا بحسبانه أن

---

١ رواه البخاري ومسلم.

استفادته من هذا الجسد بكل دقائقه وعمله به في سبيل الله خير له من أن يدعه لغيره، ومابقي بعد ذلك من هذا الخير يكون خيراً إن شاء الله رب العالمين، وسبحان رب العرش العظيم..

نهدي خاتمة صغيرة:

نختم هذا الكتاب بشيء أشبه بالطرفة علّنا نقدم منها بلطافة مثالاً عن بعض طرق استغلال جهل الشعوب الضعيفة عند غيابها العقلي بواسطة الإعلام تحت اسم العلم أو المعلومة، فتزداد متاهة إلى متاهاتها، وكمثال آخر أيضاً الأطباق الفلكية الطائرة، الطرفة تقول: قالوا للناس فيما صوروه لهم في قضية الاستنساخ أنه يمكن اختيار أشكال معينة من الناس كالجميلات مثلاً من الفتيات، ونسخ أعدادٍ كثيرة منها، تكون لها نفس الشكل وقال البعض نفس الطباع أيضاً، و لم يكتفوا بهذا لما وجدوا الدهشة تملأ وجوه الناس، إذ تعدى قولهم إلى الأموات، فقالوا يمكن العثور على خلايا بعض الشخصيات المهمة الذائبة في التراب وتكرار أشكال هذه الشخصيات، وربما طباعها، بعمليات الاستنساخ، ثم صوروا للناس أشكالاً مثل نابليون أو حتى هتلر، ولا ندري من أيضاً، ووضعوا لها العديد من الصور قرب بعضها البعض، والطرفة الأكثر أن غالبية الناس العظمى قد صدقوا مثل هذا وراح البعض إلى إبراز الهتافات بإيقاف هذا العمل وينذر بكارثة قريبة في حال استمراره، وذهب البعض إلى إبراز العمل من الناحية الأخلاقية ومدى مشروعيته، وكأن ما قيل أمر نافذ منتهى لم يبقَ إلا هل يسمح له أم لا. ابتسم من فضلك بعد سماعك هذا، ولنضحك قليلاً علنا نجلو الغمة التي أحدثتها مثل هذه الأقوال، لنقوى بعد ذلك فلا نشغل أذهاننا بأقوال زائفة لاطائل منها من بعد ماتحركت الأذهان،

أم يكون من الأجدر أن نبكي أولا على ما وصلنا له من الجهل واستغلال الفكر وموت الضمير واتباع الهوى وهدر الوقت والعمر ، علنا إذا ابتسمنا بعد ذلك تكون ابتسامة صادقة صافية.

أو لما كانت المحاولات العديدة بالنسبة للخلايا الحية قد أخفقت إلا ملندر بالنسبة للحيوان قبل أن يصلوا منها إلى الإنسان أفيكمن تصور أنه يمكن أخذ الخلايا الميتة أو المندثرة وقد فعلت البيئة فيها مافعلت ، وخصوصا إذا عرفنا أيضا أنه ليس كل خلية حية في الإنسان ، وحتى ليس كل خلية مما يسري داخل جسم الإنسان تصلح للتكاثر أو لمثل هذه العملية.

لماذا يصدق الإنسان كل مايقال له بأنه عن علم أو أنه عن عالم كذا ، أو عن بلد كذا ، ولو لم يدخل هذا القول حد الإثبات ، لابد من الرجوع والقول: أليس عندنا عقول تفكر وتميز ؟ أليس هناك آذان تسمع وعيون ترى ؟ هل يرى ؟ الإنسان نفسه نعجة من النعاج لابد لها أن تمشي وراء فصيلها ؟ ما رأيك باسم جميل (دولي) مثلا ، بماذا إذا فضل الإنسان على غيره من المخلوقات ، ولقد ضرب الله لنا مثلا في كتابه الكريم القرآن العظيم عن الخطأ الكبير في تجميد الإنسان فكره ، ثم تصديقه لغيره دون بينة أو برهان لمجرد أنه مثلا أقدم منه حتى ولو توج قوله بالقسم وذلك بذكره تعالى في قول إبليس لآدم وزوجه ، عندما نهاه ربه أن يقترب من شجرة معينة ، حيث قال له كما جاء في هذا الكتاب المقدس لشريف: «ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين»[1].

---

١ سورة الأعراف ٧ ــ آية ٢١.

وللسبب نفسه من طرف آخر ، ونتيجة لضياع الأمانة وقلة العمل بالعلم ، كثيرا ما نرى الناس يكذب بعضهم بعضا ، وتكذيبهم لكل من يأتيهم ببينة بمجرد أنه مثلا ليس من فصيلهم ، أو ليس من طرف كذا وكذا ، فلهذا كله تسود الحياة ويكثر الوباء. والحل والدواء تجده من قوله تعالى الخالق الكريم العزيز المتعال: «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر[1]» ، «ففروا إلى الله جميعا إني لكم منه نذير مبين[2]» ، «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا[3]» ، «إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم[4]».

ولكن هل تفكرنا بالآيات وعلمنا ماهو المقصود منها ، وما هو السبيل القويم المرسوم فيها «إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد»[5].

والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله.

---

١ سورة القمر ٥٤ ــ آية ١٧.

٢ سورة الذاريات٥١ ــ آية ٥٠.

٣ سورة الزمر ٣٩ ــ آية ٥٣.

٤ سورة الرعد ١٣ ــ آية ١١.

٥ سورة ق ــ آية ٣٧.

الفهرس

ـــ مدخل ١٧

ـــ لمحة عامة ١٨

ـــ كيف ولماذا التعميم وما الهدف ؟ ١٩

ـــ وضع النقاط على الحروف ٢١

١. المني والتقدير. **٢٢**

٢. طرق مختلفة. **٢٣**

٣. العاقر والعقيم **٢٥**

ـــ جلاء النظرة والنجاح. ٢٦

١. ماهو بين الإنسان والحيوان. **٢٧**

٢. ماذا قبل التجربة ؟ **٢٩**

٣. التفرد. **٣١**

ـــ رسالات ٣٢

١. في الأرحام والوحام. **٣٣**

٢. أساس. ٣٥

ـــ التأثر الطبيعي وظروف البيئة. ٣٧

١. من يثبت. ٣٩

٢. مثال التحسس. ٣٩

٣. مع الزيوت. ٤٠

٤. سرٌّ في سورة التين. ٤١

٥. ماذا عن الوحام؟ ٤٢

٦. تحليل رياضي. ٤٣

٧. ترجمة الأعمار. ٤٤

ـــ الجنس ودارات في الجسم. ٤٥

١. الإنسان القديم والعري. ٤٨

٢. دمية. ٤٩

٣. للإنسان مرتبة. ٤٩

٤. هل تقبل أباً أو أخاً قرداً ؟! ٥٠

٥. هل تقبلين ؟ ٥١

٦. الإيدز والعافية. ٥١

٧. ماهي التسمية الصحيحة ؟ ٥٤

ـــ السرُّ العجيب ٥٤

١. امتداد العرش ٥٥

٢. صلة الأسرار ٥٥

٣. السرُّ والأمانة ٥٥

٤. الطيب والطيبات ٥٧

٥. جنون البقر ٥٩

٦. ناقوس الخطر يدق ٥٩

ـــ الإعجاز الكبير ٦١

١. حماية من حولنا. ٦١

٢. خيط الوصل ٦٢

٣. قول الله وقول الناس. ٦٣

٤. هل عرفت سنّة الله حقاً؟. ٦٥

٥. الدقة في الكتاب ولا حياد. ٦٦

٦. بروز القانون ٦٨

٧. من يحدد ذكراً أم أنثى؟. ٦٩

٨. الرحم والمرأة ٧٠

ـــ التحدي والمستقبل ٧١

١. كشف الستار. ٧٣
٢. قدرة الله وطهارة العذراء. ٧٥
٣. المثل الكبير والسير. ٧٧
٤. القيامة أيهما أقوى. ٧٩
٥. من يبلّغ؟ ٧٩
ـــ يوم لامفر منه ٨٠
ـــ أسباب ونتائج ٨٢
ـــ هل يبقى خلاف؟ ٨٥
ـــ ماذا عن زرع الأعضاء؟ ٨٥
ـــ خاتمة ٩٠

أخطاء وصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٨	الآخر قبل ٦		ورمزوا
٢٥	قبل ٣	ولم يقل (( ))	ولم يقل ( )
٤٢	المنتصف	الآية ((لإن آتينا صالحاً))	((لإن آتيتنا صالحاً))
٤٢	بعد ٢ من النصف	عدد الخموض	عدد الحموض
٤٢	الأخير	ولنر	ولنرى
٤٤	الحاشية	التوبة آية ٣١ ٣٦ ـ ١٤	آية ٣٦
٤٤	الحاشية	٢ الحديثس	الآية وليس الحديث
٤٦	الخامس	تشعر بالذات ؟؟؟	تشعر بالذات ،
٤٧	قبل ٢	DDNA	DNA
٥٢	قبل ٤	الآية ((ياأيها الاس))	((ياأيها الناس))
٥٦	قبل ٤	أعطاه لله	أعطاه الله
٥٨	الأخير	خنزيرًا ؟	خنزيرًا ؟!
٦٧	الحاشية	٣ سورة الكهف	٣ سورة الطارق
٧٦	الأخيرة	أنى	أنّى

کتابخانه تخصصی
فقه و اصول